الجزء الثالث — المجلد السابع والعشرون

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٢ — ٩ شوال سنة ١٣٧١

نظرية الخير عند ابن سينا

من عادة مؤرخي الفلسفة ، إذا بحثوا في مذهب من المذاهب ، أن يحللوا هذا المذهب ، ويبينوا علاقته بالوسط الاجتماعي الذي ظهر فيه .. والسبب في ذلك أن لحياة الفيلسوف تأثيراً عميقاً في مذهبه ، فاذا كانت حياته مقترنة بالآفات ، والشدائد والآلام ، جاء مذهبه في الغالب مفعماً بالتشاؤم ، واذا كانت حياته ، على العكس من ذلك ، مقترنة بالسعادة والرفاهة ، جاء مذهبه مشبعاً بروح التفاؤل . فإن الحياة المحبوبة ، التي معها صحة البدن ، واعتدال المزاج ، توحي بالاطمئنان والرجاء ، وتبعث على الاعتقاد أن الخير عام في الوجود . وقلما وجدت فيلسوفاً ربيباً لم يكن عيشه مضطرباً ، ولا فيلسوفاً وثوقياً أو عقلياً لم يستمد وثوقه وايمانه من تربيته ونشأته . واذا كان الأمر على ما وصفنا فليس بعجيب ان يكون مذهب الفيلسوف صورة صادقة لمزاجه وسجيته ، وان تكون مبادئه وغاياته موافقة للتيارات الاجتماعية التي أحاطت به ، ولكن العجيب أن يجيء مذهب الفيلسوف مبايناً لحياته ، وان لا يكون بينه وبين الوسط الذي عاش فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجاوب وتفاعل . ففي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن نشوء بعض المذاهب لا يمكن أن يعلل بتأثير الحياة ، والتربية ، والوراثة . وكثيراً ما رأينا بعض المذاهب الفلسفية مباينة تماماً لمزاج أصحابها وحياتهم ، فيكون الفيلسوف محباً للدعة والسكون ، ويكون مذهبه مبنياً على فكرة القوة والحركة . ويكون أيضاً محباً للشهوة ، والعبث والمجازفة ، ويكون مذهبه مبنياً على العقل ، والنظام والفضيلة . لقد كان (نيتشه) وديعاً كالحمل ، الا ان المذهب الذي جاءنا به كان مذهب القوة ، لا بل مذهب الثورة على الأخلاق الوديعة . وربما كان مذهب (ابن سينا) أيضاً أبعد المذاهب عن تصوير حياته ، لأنه كان في عيشه كثير الاضطراب ، محباً للمغامرات ، مخلطاً في الشهوات ، ساعياً وراء اللذات ، لا يهدأ ولا يفتر ، الا ان مذهبه الفلسفي كان ، على العكس من ذلك ، مشتملاً على فكرة الخير ، والنظام ، والعقل والكمال . لقد كان يفضل كما يقول الحياة العريضة القصيرة على الحياة الطويلة الضيقة ، ويعني بالحياة القصيرة العريضة ، الحياة الكثيرة النشاط والانتاج ، التي لا يقنع المرء فيها بما أدركه من الجاه ، فيعتد بنفسه ، ويغالب الزمان ، ويطلب مراتب الرفعة . وهو كلما أدرك حالة بدل بها غيرها ، وكلما بلغ حداً لم يقف عنده . كأن حياته الغنية الواسعة أشبه شيء ببحر متلاطم الأمواج ، يوحي اليك بفكرة اللانهاية . أما العالم الذي تصوره ، فقد كان عالماً متناهياً ، لا بل عالماً مغلقاً . كل شيء فيه بقدر ، وكل أمر فيه مقيد . وبكاد يكون هذا التضاد بين حياته النفسية والاجتماعية ، وبين مذهبه الفلسفي تاماً . فحياته حياة اللذة ، والحركة اللانهائية ، والخلق الدائم ، ومذهبه مذهب العقل ، والمعقولات ، والصور المحددة ، والفيض ، والكمال ، والخير .

تصور أيها القارئ ، بهواً مغلق الأبواب ، فرش بأفخر الرياش ، وزين بأجمل الصور ، وأضيء بمصباح ، وضع في مشكاة ، كأنه كوكب دري ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يرسل نوره الى مصابيح أخرى ، معلقة في الفضاء ، لا يزيد عددها على عشرة ، تحلل هذا النور ، وتعكسه على الجدران بألوان مختلفة . ان هذا البهو صورة مطابقة للعالم الذي تصوره (ابن سينا) ، فهو محدود متناهٍ ، وهو مغلق الأبواب ، إلا أنه منظم مرتب ، كل صورة من صورة وضعت في المكان اللائق بها . وهذه الصور تتلألأ بما يفيض عليها من النور ، لا بل هي نفسها نور يفيض عن المصباح ، ويصبغ الأشياء بألوانه . ولولا هذا الفيض لما ظهرت هذه الأشياء ، ولما وجدت تلك الصور . فكأن النور الذي يضيء هذا البهو علة وجود الصور ، لا بل علة وجود البهو نفسه ، وعلة ما فيه من صور وأجسام . والفرق بين هذا البهو ، وبين عالم (ابن سينا) ، أن العالم كبير ، وهذا البهو صغير ، وأن ابداعه قديم ، وهذا البهو حادث ، وان المصباح الأول الذي يفيض عنه النور ليس داخل البهو ، وانما هو مستقل عنه ، خارج عن الزمان والمكان .

لنخرج الآن من بهونا الصغير ، ولنتأمل العالم نفسه . ان هذا العالم مؤلف من موجودات مختلفة المراتب ، وهي الجواهر المفارقة ، والصور ، والأجسام ، والهيولى ، والعرض . فالمرتبة الأولى في الوجود هي مرتبة الجواهر المفارقة ، والمرتبة الثانية هي مرتبة الصورة ، والثالثة مرتبة الجسم ، والرابعة مرتبة المادة ، والخامسة مرتبة العرض . « وفي كل طبقة من هذه الطبقات جملة موجودات تتفاوت في الوجود »[1] . فالجواهر أو العقول المفارقة متفاوتة المراتب ، أعلاها العقل الأول ، أو المعلول الأول ، وأدناها العقل العاشر ، أو العقل الفعّال المحيط بعالم الكون والفساد . والأدنى يفيض عن الأعلى . فالعقل الأول يفيض عن الواجب الوجود بذاته ، والثاني يفيض عن الأول ، وتحت كل عقل عقل ، حتى تصل الى العقل العاشر ، وعنده ينتهي فيض العقول المفارقة[2] . والأمور

(١) النجاة ، ص ٢٠٨ ، طبعة محيي الدين صبري الكردي ، القاهرة ص ١٩٣٨

(٢) النجاة ص ٢٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السماوية تؤلف سلسلة محدودة الحلقات ، في كل حلقة منها ثلاثة أشياء ، هي : العقل ، والنفس ، والجسم . فالإله عقل محض بعقل ذاته ، فيصدر عن عقله لذاته عقل أول ، وهذا العقل الأول واحد بالعدد ، لأنه لا يصدر عن الواحد الا واحد . وهو بعقل ذاته وبعقل الاله ، فيصدر عن عقله للاله عقل ثان تحته ، ويصدر عن عقله لذاته شيئان هما نفس الفلك الأقصى وجرمه ، لأن جوهر العقل الأول واجب بالاله ، ممكن بذاته . فالنفس تصدر عن عقله لذاته واجبة الوجود بالإله ، والجسم يصدر عن طبيعة الإمكان المندرجة في عقله لذاته . وهكذا يلزم عن العقل الأول عقل ثانٍ ، ونفس ، وجسم . ويلزم عن العقل الثاني أيضاً عقل ثالث ، ونفس ، وجسم ، حتى ينتهي الفيض عند فلك القمر وكرة الهواء المحيطة بالأرض .

فأنت ترى ان العقول المفارقة محدودة العدد كالمصابيح التي أشرنا اليها عند وصف بيوتنا الصغير . وهي تستمدّ من الله قوة ابداعها ، كما تستمد المصابيح نورها من المصباح الذي في المشكاة . وهذا المصباح الأول ، هو المبدأ الأول ، الواجب الوجود بذاته . وهو عقل ، وعاقل ، ومعقول ، وعاشق ، ومعشوق ، ولذيذ ، ولتذ ، وهو خير محض ، وكمال محض . « والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ويتمّ به وجوده »[1] . فالوجود خيرية ، وكمال الوجود خيرية الوجود . والوجود الذي لا يقارنه عدم هو خير محض ، وحق محض ، لا بل هو مفيد كل وجود ، وكل كمالٍ في الوجود . ولما كان العالم كله يفيض عنه بواسطة العقول المفارقة ، كان كل خيرٍ وكمالٍ في الوجود مستمداً منه . والوجود انما ابتدأ من الأشرف ، فالأشرف ، حتى انتهى الى الهيولى والاعراض . فالهيولى أخسّ من الجسم ، والجسم أخسّ من الصورة ، والصورة أقرب الموجودات الى الجواهر المفارقة . وكلما صعدت من الأدنى الى الأعلى في مراتب الوجود

(١) النجاة ، ص ٢٢٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ازدادت الخيرية ونقص الشر . فالصورة أكثر خيرية من الجسم ، والجواهر المفارقة أكثر خيرية من الصورة ، ولا تزال هذه الخيرية تتزايد صاعدة من جوهر مفارق الى آخر ، حتى تصل الى الخير بذاته ، أي الى الله تعالى . وهو كما يقول (ابن سينا) « سبب لكل خير »[1] ، لا بل هو خير مطلق ، وعشق مطلق ، وهو لجوده وكرمه يحب أن يتجلى لكل عاشق ، فاذا احتجب جماله عن بعض الموجودات ، فذلك ليس لنقص في جوده ، بل لنقص في تلك الموجودات نفسها .

وهذا النقص الذي نجده في الكائنات انما يرجع الى طبيعة الامكان المندرجة فيها ، لا الى وجوب وجودها المستمد من الله . فالوجوب والخيرية متناسبان ، والإمكان والشر متساوقان . واذا قلّ الوجوب ازداد الامكان ، والعكس بالعكس . ان الخير معروف المكان محدد ، أما الامكان فلا يلمح إلاّ من وراء حجاب . وقد رأيناه مندرجاً في طبيعة العقل الأول ، ثم رأيناه أيضاً في طبيعة العقول المفارقة كلها ، حتى اذا ما هبطنا الى عالم الكون والفساد رأيناه في القوة الملابسة لطبيعة المادة . ولكن هذه المادة مقارنة للصورة في جميع الأجسام ، لا توجد بالفعل الاّ مع الصورة ، ولا تتجرد عنها ، بل تفيض الصورة عليها دائماً من العقل الفعال عند تهيؤها لقبولها . كلما حصل فيها استعداد معيّن قبلت صورة معينه ، فتتعاقب الصور عليها كما تتعاقب الأعراض على الأجسام[2] ،

---

(١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات .

(٢) هذا الرأي قريب من رأي المتكلمين الذين يقولون ان الجواهر لا تنفك عن الاعراض ، وانه لا بقاء للاعراض بنفسها ، وان الله هو الذي يخلقها في الجواهر ويعقبها بعضها بعد بعض . والفرق بين (ابن سينا) والمتكلمين ان العرض عند المتكلمين لا يبقى زمانين في حين ان الصورة عند (ابن سينا) لا تفارق المادة الا اذا حصل في المادة استعداد جديد هيأها لقبول صورة جديدة . وهذا الاستعداد الجديد لا يحدث في المادة الا اذا كان هناك مخصصات ومعدّات ، والمعدّ هو الذي يحدث منه في المستعد أمر يصيّر مناسبته لهذه الصورة أولى من مناسبته لغيرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه الصور تنقل المادة من حالة الامكان البسيط الى حالة الوجود الفعلي . ولو فرضنا ان المادة عريت من الصورة لعادت الى العدم المظلم ، الا انها كما رأينا مقارنة للصورة في الوجود ، كلما حصل فيها استعداد جديد أشرقت عليها صورة جديدة ؛ وألبستها ثوبًا من الجمال والخير ، لأن المادة كما يقول (ابن سينا) شبيهة بالمرأة القبيحة ، كلما بدا وجهها للناظرين غطّت ذمائمها . فالصورة هي اذن اشراق الخير والكمال ، لا بل هي نقطة الاتصال بين الطبيعة والعقل ، ولا خير في المادة الا بما يفيض عليها من واهب الصور ، وهي تعشق الصورة كما تعشق المرأة القبيحة قناعها ، ولولا عشقها لها لما فاض عليها الكمال ، ولولا ملابستها لها لعريت من الخير ، ولغارت في أعماق العدم .

ومن تصفح كتاب الشفاء والاشارات وجد نظرية الاشراق فيهما أوضح مما هي عليه عند (الفارابي) . فالصور العقلية عند (الفارابي) موجودة بالقوة في العقل الفعّال ، اما عند (ابن سينا) فهي موجودة فيه بالفعل . بل العقل الفعّال يجمع في جوهره جميع الصور الفائضة عليه من المبادئ العلوية ، ثم يرسلها الى عالم الكون والفساد ، ويكسو بها المادة . فالصورة موجودة في العقل الفعال من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لا توجد إلاّ من جهة الانفعال . وكما يُفيض العقل الفعال الصورة على المادة ، فكذلك يُفيض المعقولات على النفس الانسانية ، وما النفس التي يصف (ابن سينا) هبوطها في قصيدته العينية الا صورة كغيرها من الصور فاضت عن المبدأ المفارق ، واتحدت بالجسم عند استعداده لها . وهذا شأن جميع الصور . فالمعرفة هي الاتصال بالمعقولات ، والاشراق هو اتحاد العقل بجوهر الكون ، لأن الصور التي تفيض على العقل تجيء متفقة مع الصور التي تفيض على المادة . ان المبدأ الكلي الذي يهب الوجود للنفوس والأجسام ، يخلق الأجناس والأنواع ، ثم ينعكس بعد ذلك على الانسان فيملأه نوراً تغربله المادة وتصطبغ بألوانه . وليس في هذا النمط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الوجود صبغة هي أجمل ولا أكمل ولا أكثر خيرية من هذه الصبغة . فالصورة اذن خير ، ومن طبيعة الخير ان يكون معشوقاً ، وان يكون علة غائية ، لأنه يطلب لذاته ، وسائر الاشياء تطلب لأجله . ولو طلب الخير لشيء آخر غير ذاته لكان نافعاً ومفيداً ، لا خيراً حقيقياً .

ان هذا الخير يفيض عن الإله على العقول المفارقة ، ثم يفيض عن العقول المفارقة على عالم الكون والفساد . وهذا يدل على ان إله ابن سينا ، كإله اخوان الصفاء ، مبدع الوجود ، ومفيض الجود ، وهو متجلٍ لجميع الموجودات ، ولولا تجليه لم يكن وجود ، ولم يكن خير ، وهو راض عن فيضان الكل عنه ، عاقل لنظام الخير في الوجود .

والفرق بين معنى الجود والخير عند ابن سينا ، ان الشيء الواحد الحاصل في قابل اذا نسب الى المنفعل كان خيراً ، واذا نسب الى الفاعل كان جوداً ، لأن قابل الشيء لا يسمى جواداً له ، ومن أفاد غيره فائدة ليستفيض عنها بدلاً لم يكن جواداً ، بل معاملاً [1] ، ومن جاد ليشرف أو ليحمد أو ليثاب فهو مستفيض ، ليس بجواد ، وفاعل الخير لا ينفعل به بوجه ، لأن الخير أمر وجودي حاصل للشيء ، فاذا أفاضه الفاعل عليه لم يكن فيضه لغرض ولا لعوض ، وانما هو كمال مناسب حصل له بحسب استعداده ، فاذا استعدّ الموجود لهذا الكمال المناسب نزع اليه ، وعشقه كما يعشق الانسان خيره الخاص به ، فكأن في الوجود تيارين متضادين : أحدهما متجه من فوق الى تحت ، وهو تيار الجود ، والآخر متجه من تحت الى فوق ، وهو تيار العشق . فالتيار الأول يتناقص بهبوطه من الملأ الأعلى الى الأرض ، والثاني يتزايد بصعوده من الأرض الى السماء . وعلة الجود علة فاعلة ، أما علة العشق فعلة غائية . ان من طبيعة الجود أن

(١) الشفاء ، الالهيات ، شرح صدر الدين الشيرازي ، ص ٢٦١ ، من طبعة طهران .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يفيض على الوجود فيضاً ضرورياً معقولاً ، كما أن من طبيعة العشق ان يتجه الى مبدأ الكمال والخير اتجاهاً غائياً . ذلك لأن كل هوية من الهويات تتشوق الكمال ، وكل موجود من الموجودات له عشق غريزي وشوق طبيعي هما سبب وجوده ، ولولا هذا العشق لما حصل على شيء من الكمال ، بل الكمال يفيض عليه من الكامل بذاته . وقد اقتضت حكمة الله أن يغرز في كل موجود عشقاً كلياً يستحفظ به ما ناله من الكمال [1] ، كما خلق فيه نزوعاً الى اكتساب الكمال عند خلوه منه . فمن الضروري اذن ان يوجد العشق في جميع الكائنات ، أي في البسائط غير الحية ، وفي الصور النباتية ، والنفوس الحيوانية ، والنفوس الناطقة . فهي كلها تنزع الى مبادئها القريبة لتفيض عليها كمالاتها ، وقد تنزع النفوس الناطقة أيضاً الى أعلى من مبادئها القريبة حتى تتصل بالإله .

ان هذا العشق هو مبدأ كل حركة في الوجود ، فهو يعلل ملابسة المادة للصورة ، وميل النبات الى الغذاء والنمو ، وميل الحيوان الى بعض المحسوسات دون بعض ، كما يعلل أفعال النفوس الانسانية ، وحركات الأجسام السماوية .

ان النفوس السماوية مثلاً لا تحرك أجسامها الفلكية الا لتنال من وراء ذلك كمالاً . فلولا عشقها الكمال لما حركت أجسامها ، ولولا رغبتها في الخير لما جهدت في الدوران . ذلك لأن الخير بذاته معشوق ، والخير عاشق للخير . « وكلما ازدادت الخيرية ، زاد استحقاق المعشوقية ، وزادت العاشقية للخير » [2] . فالإله أكثر استحقاقاً للمعشوقية من العقل الأول ، لأنه خير أعلى وكمال مطلق ، والعقل الأول أكثر استحقاقاً للمعشوقية من العقل الثاني ، وهكذا دواليك .

ولكن هل تتصف العقول المفارقة بالعشق كما تتصف بها النفس ، والصورة والمادة ، والجوهر ، والعرض ؟

---

(١) رسالة العشق ، الفصل الأول في ذكر سريان قوة العشق في كل واحد من الهويات ، ص ٧٠ من كتاب جامع البدائع .

(٢) رسالة العشق ص ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان لهذه العقول كمالات مناسبة لطبيعتها ، فهي تشارك المبدأ الاول في الكمال ، وفي إفاضة الجود ، وهي تملك منذ القدم أعلى درجات السعادة . ومن حصل على ما تقتضيه طبيعته من الكمال لا يشتاق الى اكتساب كمال آخر . ومع ذلك فإن هذه العقول تعشق المبدأ الأول ، لأن طبيعتها كما بينّا لا تخلو من الامكان والقوة . ولأنها تتشبّه بالمبدأ الأول في عشقه لذاته [1] .

فالعشق عام اذن في الوجود ، ولولاه لما لابست المادة صورتها ، ولا طلب النبات غذاءه ، ولا نزع الحيوان الى الانتقام والتغلب والفرار من الذل والاستكانة ، ولا رغب الظرفاء والفتيان في الأوجه الحسان ، ولا أمّ العقل قصداً ، ولا طلب كمالاً وخيراً .

واذا كان العشق عامّاً في الوجود كان الخير غالباً على الشر . لأن الشر بذاته هو العدم ، والشر المطلق هو العدم المطلق . ولو كان الشر أكثر من الخير لانعدم الوجود كله .

وهذا كله يدل على تفاؤل ابن سينا ، لأنه يعتقد أن الموجودات كلها سابحة في بحر من الخير . كل منها ينال من الخير ما هو لائق به ، وموافق لطبيعته . ان هذا النظام الذي في الكون هو أحسن نظام يمكن أن يكون عليه الوجود ، وهذا العالم هو أحسن العوالم التي يمكن أن يتصورها العقل . وليس معنى ذلك ان العالم خالٍ من الشر ، بل الشر موجود في العالم ، ملابس للموجودات كلها . أليس من الشر أن تحرق النار ثوب الفقير المعدم ؟ أليس من الشر أن يموت الطفل وليس لأمه ولد غيره ؟ . أليس من الشر أن يحرم الانسان ما يليق به من الكمال ؟ لا مجال اذن لإنكار الشر في هذا العالم ، وابن سينا لا يتعامى عنه ، الا انه يقول ، كما رأيت : « ليس الشر هو الغالب في الوجود ، لأن الخير مقتضى بالذات ، أما الشر فمقتضى بالعرض » [2] . ومعنى ذلك ان الله لا يريد

(١) Louis Gardet, La pensée Religieuse d'Avicenne. Paris 1951 P. 169-170

(٢) النجاة ، فصل في العناية وبيان دخول الشر في القضاء الالهي ، ص ٢٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا الخير ، وهو يرش على العالم من نوره ، ويريد ان تعم صورة الخير جميع الموجودات .

ولكن كيف وجد الشر في هذا العالم ، وما هي حكمة الله من وجوده ؟ كيف صدر الشر عن الإله وهو خير مطلق ، وكمال مطلق ؟ . هل تتولد الظلمة من النور ، أم ينشأ القبح والنقص عن الجمال والكمال ؟

السبب في حدوث الشر ان في طبيعة الوجود امكاناً وقوة ، ولولا هذا الامكان الوجودي المندرج في طبائع الأشياء لما تولدت الكثرة من الوحدة . اننا نعلم ان الإله واحد بسيط ، وهو فعل محض وكمال محض ، ليس في ذاته شر ، فلا يمكن ان يفيض عنه لذاته الا الخير . ولكن فيض الجود عنه يستلزم الانتقال من الوحدة الى الكثرة ، ومن الوجوب الى الامكان ، ولو كان العالم كله واجب الوجود بذاته ، لكان جوهراً واحداً مطلقاً ، كالجوهر الذي تكلم عنه (اسبينوزا) ، لا يشتمل على واحد من انحاء النقص . الا ان الأخذ بمذهب الفيض دعا ابن سينا الى افتراض الكثرة في العقل الأول ، وهذه الكثرة هي اشتمال حقيقته على معنيين : أحدهما وجوبه بالإله ، والثاني امكانه بذاته ، ولولا هذا الامكان المندرج في حقيقة العقل الأول لما تولد الشر . فالامكان هو أصل الشر في الوجود ، وهو لمكان قديم ، مندرج في الوجود تحت الخير . فكأن في حقيقة الوجود ثنائية عميقة ، سداها الوجوب ولحمتها الامكان ، فالوجوب خيرية ، وكمال ، ونور ، والامكان شر ، ونقص ، وظلام ، كلما ازداد الامكان نقص الخير ، وازداد الشر ، وهو يزداد بازدياد النفوس والكرات السماوية ، ثم ينصب منها على عالم الكون والفساد المؤلف من الصورة والمادة .

ذلك هو السبب الأول في وجود الشر . الشر هو عدم الوجود ، والشر المطلق هو العدم المطلق . وكل شر جزئي ، انما هو لخير كلي ، فاذا ازداد الامكان ، وتكثر الوجود ، ازداد الشر ، واذا ازداد الوجوب ، ازداد الجود ، والكمال ، والخير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم ان هذا الشر على انواع ، فيقال شر للعدم ، ويقال شر لنقصان كل شيء عن كماله مثل الجهل والضعف والتشويه في الخلقة ، ويقال شر للألم والغم ويقال شر للأفعال المذمومة ولمبادئها من الأخلاق (١) . وكل موجود ليس في طبيعته قوة فلا يلحقه الشر ، لأن الشر انما يلحق المادة من حيث هي قوة وإمكان .

ولكن لماذا وجد الشر ، ألم يكن في وسع الاله أن يوجد خيراً مبرءاً من الشر ؟ ألم يكن في وسع الواجب الوجود ان يبدع اللذة ولا يخلق الألم ، أن يبدع النور ولا يخلق الظلمة ؟ بلى ، ان ذلك ممكن ، ولكن في غير هذا النمط من الوجود . ان الموجود المطلق هو الخير المطلق . أما الموجود الممكن ، فلا يتصف بالخيرية الا عن طريق الجود الذي يفيض عليه . فاذا كان العالم مؤلفاً من وجوب ، وامكان ، وصورة ومادة ، وفعل وقوة ، كان لابد من وجود الشر فيه . وليس ذلك بباعث على التشاؤم ، لأن الشر أقل ذيوعاً من الخير ، لا بل هو جزئي عرضي . ان طبيعته العامة سلبية ، أما طبيعة الخير فهي ايجابية . واذا كان الشر ايجابياً في بعض الأحوال فهو يتقهقر أمام الجود الالهي ، كما تتقهقر الظلمة أمام النور . نعم ان النار محرقة ، وقد تصيب ثوب فقير فتحرقه ، الا ان هذه الآفات الجزئية التي تتولد من النار ليست من الخطورة بحيث تستلزم بطلان النار ، لأن فيها خيرات كثيرة ومنافع دائمة . وليس من الحكمة ان تترك الخيرات الثابتة الدائمة لأجل شرور في أمور جزئية غير دائمة . وهذا كله يدل على ان الخير في الوجود أكثر من الشر . ولو كان شر شيء من الأشياء أكثر من خيره لامتنع وجود ذلك الشيء ، أي لو كان ضرر النار أكثر من نفعها ، لما وجدت النار ، لأن الخير من طبيعة الوجود ، والشر من طبيعة العدم . نعم ان النار قد يعرض لها أن تولد شراً ، الا ان وجودها بصورة عامة خير ،

(١) النجاة ، ص ٢٨٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يمكن ان تبلغ النار غايتها ، وتصل الى نهايتها الا اذا كانت محرقة . فالخير الكلي يقتضي وجود الشر الجزئي ، ولا معنى للخير بدون الشر ، كما انه لا معنى للنور بدون الظلمة .

ولكن لماذا كان العالم على هذا النمط من الوجود . أليس من الممكن أن يكون الوجود خيراً كله ، أليس من الممكن أن يكون الخير مطلقاً خالصاً من الشر ؟

لا محل لهذا السؤال في فلسفة (ابن سينا) لأنه لم يقل بجوهر واحد مطلق ، بل قال بجواهر كثيرة تفيض عن المبدأ الأول ، وتحتاج في تكثرها الى افتراض الامكان مندرجاً في طبائعها . ومع ان مذهب ابن سينا يقربنا من مذهب وحدة الوجود فإن لحمة الامكان التي سدي بهـا الفيض لم تحفظ لهذه الوحدة حتميتها المطلقة .

نعم ان العالم في نظر ابن سينا يدخل في مقولة الممكن وعلاقتـه بمبدعه كعلاقة الممكن بالضروري الا ان هذا الامكان لم يحدث في زمان معين ، وانما هو امكان أزلي . فابن سينا يفرق اذن بين مفهوم الأزلية ومفهوم الوجوب ، ويجمع بين الأزلية والامكان . وكون العالم ممكناً لا يعني انه خاضع للبحث والاتفاق ، بل يعني ان حتميته اضافية مستمدة من الواجب الوجود بذاته ، اننا لا نجد في الطبيعة شجرة تثمر التين والزيتون معاً ، ولا أنواعاً نباتية أخرى مختلطة بعضها ببعض . ففي الطبيعة اذن سببية فاعلة ، وفيها أيضاً غائية ، ومن غائيتها أن لا يستقر الامكان الا اذا صيغ في قوالب الكمال والخير . أضف الى ذلك ان ابن سينا يقول في الوقت نفسه بعجز الانسان عن ادراك حكمة الخالق . قال : « لو كان أمر الله تعالى كأمرك ، وصوابه كصوابك ، وجميله كجميلك ، وقبيحه كقبيحك ، لما خلق أبا الأشبال أعصل الأنياب ، أحجن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البراثن لا يغذوه العشب »[١] . فالإله لا يراعي في قدره ما نراعيه نحن في حياتنا من الاعتبارات النفعية الضيقة ، بل ينظر الى الوجود الكلي ، ونحن لا ننظر الا الى الوجود الجزئي . ان عنايته تحيط بالكل « وبالواجب ان يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام »[٢] ، وعلمه « بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير في الكل »[٣] . وهذا يدل على ان ابن سينا يستسلم في ذلك لقضاء الله وقدره ، ويتفاءل بالخير .

أما الانسان فانه لا ينال الخير والسعادة الا اذا عمل على ادراك حقيقة الوجود ، وتطلع الى الأفق الأعلى . وهو قادر بعقله على تمييز الحق من الباطل . واذا انقلب عقله الهيولاني الى عقل مستفاد ، ثم الى عقل قدسي ، أدرك من البهجة والسعادة ما لا يدركه الجاهل . ان سعادة الانسان ليست في اتباع اللذة ، بل هي في ادراك الكمال . فمن اشتاقت نفسه الى الخير الأعلى لم يجد في اللذات الرخيصة ما يدعوه الى الانغماس فيها ، لأنه لا قيمة لهذه اللذات بالنسبة الى اللذات العالية . نعم اننا في عالم المادة المظلم ، يمنعنا حجاب الحس من بلوغ المثل العليا التي نتطلع اليها ونحن اليها ، ولكننا اذا خلعنا ربقة الشهوة والغضب ، وطالعنا شيئاً من اللذات العالية تشوقنا الكمال واتجهنا اليه . وكثيراً ما نستخف بالشهوات الخسيسة لعلمنا انها تصدنا عن الكمال . فالنفس البشرية الخالصة من كدورة المادة تتشوق الخير المطلق ، وتنزع اليه ، وترتقي من مبدئها القريب الى المبادئ العالية ، حتى تصل الى الله . ولكن دون أن تتحد به وتفنى فيه . ومتى ارتقى العارف من درجة الارادة الى درجة الرياضة ، ومن درجة الرياضة الى درجة النيل أصبح سره مرآة مجلوة يحاذي بها شطر الحق . وفي هذه المرحلة تدر عليه اللذات العالية ، ويفرح بنفسه لما بها من أثر الحق ، والصور التي تفيض عليه

(١) رسالة القضاء والقدر .
(٢) الاشارات ، ص ١٨٥ ، طبعة ليدن ، ١٨٩٢ .
(٣) الاشارات ، ص ١٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكون في العقل الفعال فاعلة ، وفي نفسه منفعلة . ويظهر من وصف ابن سينا لمراحل الارتقاء ان للنفس عند الوصول حالتين ، ففي الحالة الأولى ينظر العارف الى نفسه تارة ، وينظر الى الله تارة أخرى ، ويبقى على هذه الصورة متردداً بين الجهتين ، وفي الحالة الثانية ينسى نفسه ، ولا يرى الا نور الحق . « وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي بزينتها » [1] لقد كانت نفسه قبل هذا المعراج محلاً لفيض المعقولات عن العقل الفعال ، فأصبحت الآن مرآة صقيلة تعكس نور الله . فهو ينسى نفسه ويغيب عنها ولكنه لا يفنى ، وهو يملأ نفسه من النور الذي يغشاه فلا يرى الا الله ، ولكن نفسه لا تحل انحلالاً تاماً في منبع النور ، لأن الرائي يبقى عنده غير المرئي ، والعالم غير المعلوم . وهكذا يرتقي العارف من نطاق الطبيعة الضيق الى فضاء العالم الواسع ، وينال أوقاتاً من السعادة الحقيقية ، بما يفيض عليه من النور . « ان لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته ، ألا فتعرضوا لها » .

* * *

تلك هي آراء ابن سينا في الخير والسعادة ، وهي كما ترى آراء أفلاطونية صيغت في قوالب مشائية ، أو قل اذا شئت ، لبنات يونانية صبغت بصبغة اسلامية .

فابن سينا وأفلاطون يتشابهان في قولهما ان الخير أساس كل شيء ، وان مبدأ الوجود لا يمكن أن يتوخى الا الخير بالضرورة ، لأنه عاقل ، وخير ، وعادل ، وكامل . وهما أيضاً متفقان في قولهما ان العشق هو المحرك الأساسي لجميع الكائنات ، فما قاله أفلاطون في كتاب المائدة : ان ما يعطي قيمة لهذه الحياة انما هو مشاهدة الجمال السرمدي نقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وألوان مصيرها الى الفناء . والعشق عنده أول ما يتجه الى جمال الأجسام والأشكال ثم يتجه بعد ذلك الى جمال النفوس ، ثم يصعد من جمال النفوس الى جمال الفنون والعلوم ، ولا يزال يصعد من علم الى علم حتى يبلغ الجمال المطلق .

(١) الاشارات ، ص ٢٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا الجدل الصاعد نجده عند ابن سينا في كلامه على سريان العشق في كل واحد من الموجودات ، وعن وجوده في النفوس النباتية ، والنفوس الحيوانية ، والنفوس الناطقة ، وعن ازدياده في الوجود بازدياد الخيرية والجود . ففي نظرية الخير كما ترى أثر من أفلاطون واضح ، ولا يبعد أن يكون ذلك مستمداً من كتب أفلاطون مباشرة ، لا من كتاب الاثيولوجيا وحده ، على ان الأفلاطونية والمشائية والأفلاطونية الحديثة لا تكفي وحدها لتوضيح كل ما اشتملت عليه نظرية الخير من مبادئ وغايات ، ففي هذه النظرية كما يبدو لنا أثر من علماء الكلام ، كما ان فيها أثراً من المانوية والاسماعيلية[1] . وليس أدل على ذلك من تفسير المعوذة الأولى الذي يقول فيه ابن سينا ان الله فالق ظلمة العدم بنور الوجود ، وان ذلك من لوازم خيريته المطلقة ، الفائضة عن هويته ، وانه ليس فيه شر أصلاً الا ما صار مخفيًا تحت سطوع النور الأول ، وأن الشر لا ينشأ الا عن الأجسام . وفرّق هنا بين القضاء والقدر ، فقال ان الأجسام هي من قدره تعالى لا من قضائه . فالانفلاق هو افاضة نور الوجود على الماهيات الممكنة ، والفالق لظلمة العدم بنور الوجود هو الله . وهذا الانفلاق هو عالم القضاء ، وهو متقدم على صقيع القدر ، والشر لا يلزم عن الفالق الا بقصد ثانوي . فلا يلحق الوجود الا في قدر الله لا في قضائه ، وعدم حصول الموجود على

---

(١) راجع ابن تيمية ، كتاب الرد على المنطقيين . طبعة مصر ١٩٤٩ ، قال ابن تيمية : « وابن سينا تكلم في أشياء من الالهيات ، والنبويات ، والمعاد ، والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت اليها عقولهم ، ولا بلغتها علومهم . فانه استفادها من المسلمين . وان كان انما أخذ عن الملاحدة المنتسبين الى المسلمين كالاسماعيلية ، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي » ص ١٤٢ ، وقال أيضاً : « وأما الالهيات فكلام ارسطو واصحابه فيها قليل جداً ، ومع قلته فكثير منه ، بل أكثره خطأ . ولكن ابن سينا أخذ ما ذكروه وضمّ اليه أموراً أخرى من أصول المتكلمين ، وأخذ يقول ما ذكره على بعض الفاظ الشرع ، وكان هو وأهل بيته من الملاحدة الباطنية ، أتباع الحاكم وغيره من العبيديين الاسماعيلية » ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكمالات لا يرجع الى مفيض الخيرات ، بل يرجع الى قابلها . فالخير كل الخير في انفلاق الوجود ، والشر كل الشر في انقطاع الجود .

فأنت ترى ان ابن سينا استعمل في هذا التفسير أصولاً ومبادئ مقتبسة من آرائه الفلسفية ، ولا غرو فقد كان من عادته وعادة الاسماعيلية أن يستعملوا التأويل الباطني في تفسير أمور الشريعة . وكثير من المتصوفين كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وغيرهم يوافقونهم في أصولهم هذه ، لكنهم يغيرون العبارات . ويبدلون الاصطلاحات .

وليس المقصود هنا أن نبين ما أخذه ابن سينا عن الاسلاميين والحرانيين واليونانيين ، وما استمده من فلسفة الهنود والمجوس والنصارى ، وانما المقصود ان نبين ان مذهبه الفني بنفسه منسق الألوان ، منسجم الأحكام ، جمع فيه حكمة الشرق الى فلسفة اليونان ، وعلوم الأوائل الى عقيدة الاسلام . وليس ذلك بقادح فيه ، لأن الفلاسفة قد يبنون بالعناصر نفسها مذاهب مختلفة ، وقد ينبع نهران من جبل واحد ، ويسير كل منهما في اتجاه مضاد للآخر . وليس المهم في تاريخ الأفكار ان نكشف عن الينابيع التي استقيت منها ، وانما المهم ان نبين اتجاهات المذاهب وغاياتها . والذي ينبغي ان يعلم الآن ان العالم الذي تصوره ابن سينا عالم جميل رائع الألوان ، منسق الصور ، لكل موجود من موجوداته مرتبة من الكمال خاصة به ، ودرجة من الخيرية مناسبة له . وهو عالم محدود ضيق ، الا انه منظم مرتب ، يستطيع الانسان ان يطمئن له ، ويثق بنظامه الحتمي ، لأنه محاط بعناية الله .

لنترك الآن هذا العالم الذي طال طوافنا فيه ، ولنرجع الى عالمنا الحسي ، ففي العالم الحسي من الصور والألوان ما يغني عن ذلك العالم . ولا غرو فعالم ابن سينا من نسيج الخيال ، وعالمنا الحسي من نسيج الواقع والتجربة . وكثيراً ما يفضل الانسان سراجاً في يده على عشرات من المصابيح سابحة في الفضاء .

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأحمدان المصريان القديمان (١)

كانت طريقة من دونوا التاريخ في الدول العربية أن ينقلوا الحوادث بالرواية ويعرضوا لذكر رواتهـا ويصححوا سندها جارين على المثال الذي سار عليه المحدّثون في نقل الأحاديث النبوية ، وكذلك كانت ترجمتهم من ترجموا لهم من الرجال . دامت هذه الطريقة شائعة الى القرن الرابع وبعدئذ توسعوا في أسلوب التأليف وربطوا بين الحوادث ينظرون الى الرجل من بعض نواحيه التي تهمهم فقط ويغفلون عن النواحي التي لها الأثر العظيم في نشأته .

ودخل تعديل كبير في سرد الحوادث السياسية وأصبحوا يعللونهـا ويربطون أولاها بأخراها وما دخل تعديل يذكر في تراجم الرجال مجتزئين ببعض ما يعرف عنهم وأغفلوا في الأكثر ذكر بيوتهم ووالديهم وموالدهم ومناشئهم وبيئاتهم وأساتذتهم وكل ما يهمنا اليوم الاطلاع عليه .

والأرجح ان هذه الطريقة في التعرف الى الرجال هي من مبتكرات العصور الحديثة ، وقد برّز فيها أدباء الافرنج كثيراً وبهم اقتدينا في هذه السبيل ، وترانا اذا ضاقت بنا وجوه الحيلة في معرفة عظماء رجالنا مما دون عنهم نعمد الى التعرف اليهم مما كتبوه ودونوه أو نقل عنهم فنستنبط منه أموراً نستدل بها على حالتهم ، وان كان الاستنباط كثيراً ما يخطئ ، والاستنتاج قد لا يطابق الواقع كل المطابقة ، اذا لم يدعمه استقراء صحيح ووثائق لا مجال لتزييفها .

---

(١) مما حاضرت به في الجامعة الاميركية في القاهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أليس من الغريب أن لا نعرف عن عشرة عظماء من رجال البلاغة في القرون الثاني والثالث والرابع الا أموراً لم تصور لنا حياتهم التصوير الذي نتطال اليه . فمنهم من لم نعرف مشايخهم الذين أخذوا عنهم العلم مع أنهم من المشهود لهم في فروع امتازوا بها على من عاصرهم، ومنهم من لم نعرف مولدهم ولا أعمارهم ولا ايداتهم ولا بداياتهم بل ولا نوع دراساتهم ، وهذا محمد بن عبد الملك الزيات الذي تولى الوزارة لثلاثة من خلفاء بني العباس أربع عشرة سنة بدون انقطاع وكان يعد من أئمة النحو واللغة كما هو امام في البلاغة لم نعرف مولده ولا شيوخه ولا نوع دراسته التي أخذته حتى جاء منه بليغ يبذُّ البلغاء . وهذا ابن المقفع لم نعرف مشايخه ولا موطنه الأول ولا عمره الا بشيء من الفرضيات والاستنتاجات ، ومثل ذلك يقال في عبد الحميد بن يحيى الكاتب كاتب أمير المؤمنين مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية في الشرق وواضع أساس الكتابة العربية . وكذلك يقال في عمرو بن مسعدة وسهل بن هرون وابراهيم بن العباس الصولي واحمد بن يوسف الكاتب وغيرهم من عظماء الكتاب الذين ساسوا الممالك ووُزروا لأعظم خلفاء بني العباس .

قدَّمت هذه المقدمة أمام الكلام على عظيمين امتازا ببلاغتهما لأخرج منها الى الاعتذار عن نقصٍ وقع في الترجمة لهما فأنجو من تبعة التقصير ، ولا أقول ان القليل مما أبقته الأيام من كلامهم قد وقفنا على شيء لا بذكر من حياتهم . وهو الى الضعف أقرب ، ولكن ما العمل في أدب أمة ضاع أكثره ، وانا معها بالغنا في تقدير ما سلم من تراث الأجداد لا نرى الباقي منه أكثر من واحد من عشرين وياللأسف ، ذهبت الأيام بالباقي ، وتعاورت على تعفية أثره مصائب الأرض وبلواء السماء . فمن كتبهم ما ضاع في الفتن والحروب وفي الحريق والغريق ، ومنها ما دثر للجهل الذي ضرب سُرادقه قروناً على العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفعل العجم ، فكان مصير الكتب المخطوطة القليلة مصير كل شيء في عالم الكون والفساد يتحول وينتقل وينقرض ويبيد ويبلى . ولنا ان ندعي بعد أن رأينا ما حلّ بخزائن كتبنا من النكبات أن فن الطباعة في العصور الأخيرة كان أعظم اختراع خدم العلم وأكبر نعمة على الانسان والانسانية .

وأحدثكم الآن في هذه المسامرة عن رجلين عظيمين كانت لهما صلة نسب بهذه الأرض الطيبة أرض مصر العزيزة ، عنيت بهما احمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، وصميّه احمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون العظيم . وأبدأ بأحمد بن يوسف الأول لتقدمه في الميلاد ، ولأنه لمع كثيراً في قصر الخليفة العباسي ، وأجمع البلغاء على الاعتراف له بالتقدم في صناعة الكتابة وفي سياسة الملك ، وأرجو ان لا تطالبوني بمزيد على ما تسمعون فان الكلام اذا خلا مما يؤيده من حجج صحيحة يركن اليها يكون أشبه بالقصص الخيالية ، ولا يقوم حق ، ولا تقرر حقيقة ، مع خيال ، وفرض محال .

وبعد فان غاية ما عرف من ترجمة احمد بن يوسف انه احمد بن يوسف ابن القاسم بن صبيح مولى بني عجل من قرية من قرى الكوفة تعرف بريتا . وكان صبيح مولى اسلام اشتراه السري بن بشر العجلي فأعتقه ، وكان صبيح قبطياً من أقباط مصر . أي أن جد احمد كان من موالي مصر فاسترق وحمل الى العراق فأسلم ، وكان من أولاد أولاده هذا الرجل العظيم .

كان احمد وأخوه القاسم شاعرين أديبين وأولادهما جميعاً أهل أدب يقرضون الشعر ويعانون البلاغة ، وكان القاسم جد احمد كاتباً ، وهو على ديوان الغرب أيام بني العباس ، وفي آخر أيام بني أمية . ثم كتب القاسم لعبد الله بن علي عمّ المنصور وكتب يوسف ابنه له أيضاً ، ثم كتب يوسف ليعقوب بن داود وزير المهدي . فأحمد الذي نترجم له كان اذاً عريقاً في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتابة وكانت لأبيه وجده يد باسطة فيها ، وكتبا لمثل يعقوب بن داود وكان هذا كاتباً مبرزاً ، ومثله لا يرتضي الكتابته الا من كان في صناعته آية ، فأحمد والأمر على ما ذكر عربي النشأة ، بغدادي الدار ، مصري الأصل والتبعة .

وعرف عن احمد أنه كان كاتباً بليغاً يقول الشعر ويجيده ، ومن أظهر صفاته شدة عارضته وقوة بديهته ، وانشاؤه من السهل الممتنع لا تعمل فيه ، وكان متمكناً من الشريعة وأصول الدين ، وذكروا انه كان يحب الطرب ويأنس الى القيان ، مفتوناً بالجمال مستهتراً بلذائذه . أي انه كان رجل جد ساعة الجد ، ورجل طرب ومرح ساعة الفراغ والخلوة ، ولم يؤلف كتاباً ، ولم يذكروا له غير ديوان رسائله ، وقالوا ان له رسالة الخميس ، وأنها من المجمع على جودته .

لما قتل الأمين أراد طاهر بن الحسين متولي كُبْر تلك الفتنة العظيمة أن يكتب الى المأمون فيما انجلت عنه تلك الغمرة ، فأطال الكتّاب ما اقترح عليهم انشاءه ، فلم يرقه ما كتبوا ، وكان هو من عظماء الكتاب ، فقال أريد أخصر من هذا ، فوصف له احمد بن يوسف وموضعه من البلاغه فأحضره لذلك ، فكتب كتاباً دلّ على بعد غوره في السياسة والبلاغة . وقيل ان ذلك كان باقتراح من الفضل بن سهل ، وانه كتب عدة من الكتّاب في هذه المسألة فلم ترضه كتابتهم ، فلما كتب احمد رجّع الفضل نظره فيما كتب ثم قال له : ما أنصفناك ، وأمر له بصلات وقال له : اذا كان غداً فاقعد في الديوان ، وليقعد جميع الكتاب بين يديك ، واكتب الى الآفاق . وبذلك بدأت شهرة احمد في ديوان الخلافة .

هذه أول مرحلة قطعها مترجمنا في طريقه الى المجد ، والمرحلة الثانية وصوله الى المأمون وانضمامه الى رجاله حتى وسدت اليه الوزارة . قالوا ان احمد بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابي خالد الوزير كثيراً ما كان يصف احمد بن يوسف للمأمون ويحمله على منادمته ، وكان طاهر بن الحسين يربده ويزين أمره ، وابراهيم بن المهدي يطربه ويقرظه ، فأمر المأمون احمد بن ابي خالد باحضاره فلما وقف بين يديه تكلم بكلام أعجبه فقال له المأمون : أحسنت وبورك عليك ناطقاً وصامتاً ، ثم قال بعد أن أبلاه واختبره : يا عجبا لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتم نفسه .

ومات كاتب المأمون احمد بن ابي خالد فسأل المأمون الحسن بن سهل عن رجل كفؤ يخلفه ، فذكر له أبا جعفر احمد بن يوسف وأبا عباد ثابت بن يحيى الرازي قائلاً انهما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين وخدمته وما يرضيه فقال له : اختر لي أحدهما فقال الحسن : ان صبر احمد على الخدمة وجفا لذته قليلاً فهو أحبهما اليّ ، لأنه أعرق في الكتابة وأحسنهما بلاغة وأكثر علماً ، فاستكتبه المأمون أي استوزره .

وغدا احمد يعرض الكتب ويوقع . ويخلفه ابو عباد اذا غاب عن دار المأمون . وكان المأمون اذا حضر أمر يحتاج فيه الى كتاب يُشهر أمره يستكتب احمد . وولى المأمون القاسم أخا احمد خراج السواد فجباه فضلاً مما جباه غيره في سائر أيام المأمون ، فكان المأمون يقول لأحمد : يا أحمد القاسم يجمع ونحن نفرق .

أخذت الدنيا تنهال على احمد ويزيد كل يوم قدره في عين الخليفة . وقد أهدى للمأمون في يوم مهرجان هدية بألف ألف درهم وكتب اليه :

على العبد حق فهو لا شك فاعله ... وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي الى الله ماله ... وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للمليك بقدره ... لقصر علّ البحر عنه وناهله
ولكننا نهدي الى من نجلّه ... وان لم يكن في وسعنا ما يشاكله

وأهدى اليه في عيد وكتب اليه : «هذا يوم جرت فيه العادة ، باهداء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العيد للسادة ، وقد أهديت لأمير المؤمنين قليلاً من كثيره عندي » فقال المأمون : عاقل أهدى حسناً .

قلنا ان احمد امتاز بشدة عارضته ، وقوة بديهته . جلس يوماً وهو وزير يقرأ الكتب بين يدي المأمون فمرت قصة أصحاب الصدقات فقال المأمون لأحمد : أنظر في أمرهم قد كثر ضجيجهم فقال : قد نظرت في أمرهم وفورته ولكنهم أهل تعد وظلم ، وبالباب منهم جماعة ، فقال المأمون : أدخلوهم اليّ فدخلوا ، فناظروه فاتجهت الحجة عليهم ، فقال احمد : هؤلاء ظلموا رسول الله كيف يرضون بعده . قال الله عز وجل : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يُعطوا منها اذا هم يسخطون » فعجب المأمون من حسن انتزاعه ، وحضور مراده في وقته ، وقال : صدقت يا احمد ، وأمر باخراجهم . وكثر طلاب الصدقات بباب المأمون مرة فكتب اليه احمد : « داعي نداك يا أمير المؤمنين ، ومنادي جدواك ، جمعا الوفود ببابك ، يرجون نوالك المعهود ، فمنهم من بَعُد بجرمة ، ومنهم من يُدِلُّ بخدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، وطالت عليهم الأيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان ينعشهم بسَيْبِه ، ويحقق حسن ظنهم بطَوْله ، فعل ان شاء الله تعالى » . فوقع المأمون : الخير متبع وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، ولذلك قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يلتقط الحبّ ويغشى منازل الكرماء

فاكتب اسماء من ببابنا منهم ، واحك مراتبهم ، ليصل الى كل رجل قدر استحقاقه ، ولا تكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب ، وتأخير الثواب ، فقد قال الشاعر :

فانك لن ترى طرداً لحر كالصاق به طرف الهوان

وهؤلاء الذين أخذوا صدقات المأمون هم غير الفريق الذي كان ردهم أحجى ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لأن الحجة قامت عليهم وثبت انهم مبطلون لما ناظرهم المأمون ، ولكل مسألة حل ، ولكل معضلة شكل .

* * *

ويجدر بنا هنا أن نأتي بنموذجات نستدل بها على أدب احمد بن يوسف ، وعلى تميزه ببلاغته ، فمنها توقيع وقع به الى عامل أخر حمل المال : « قد استبطأك الاغفال ، وأبطرك الاهمال ، فما تُصعب قولك فعلاً ، ولا تتبع وعدك انجازاً ، وقد دافعت بمال نُجِّم لزمك حمله ، حتى وجب عليك مثله ، فاحمل ثلاثة أنجم ليكون ما يتعجل منك أداء ما أُخر عنك ان شاء الله » .

وكتب الى اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد زاره ابراهيم بن المهدي : « عندي من ازا عنده ، وحجتنا عليك اعلامنا لك والسلام » .

وكتب الى ابي دلف القاسم بن عيسى وكانت بينهما مودة ، وكانا يتهاديان ويتكاتبان ، ثم ولي ابو دلف الجبل كله ، وأعرض فيما يظهر عن احمد فكتب اليه :

ما على ذا كنا افترقنا بشيراز ولا هكذا عقدنا الاخاء
لم أكن أحسب الأمارة يزدا دبها ذو الوفاء الا صفاء
تطعن الناس بالمثقفة السمر على غدرهم وتنسى الوفاء

وقال :

نفسي على حسراتها موقوفة فوددت لو خرجت من الحسرات
لو في يديَّ حساب أيامي اذاً ألفيته متطلباً لوفاتي
لم أبك حباً للحياة وانما أبكي مخافة أن تطول حياتي

ولأحمد بن يوسف أخبار كثيرة وأشعار وكتب ، ومما قاله في جارية له وقد عتب عليها في شيء سألته الا يفعله ثم فعلت مثله .

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهاد يقود في الظلم
أو كطبيب قد شفه سقم وهو بداوي من ذلك السقم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر أو لا فلا تلم

ومن شعره :

يزين الشعر أفواهاً اذا نطقت بالشعر يوماً وقد يزري بأفواه

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته ويُصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي

ما مضّني من غنى يوماً ولا عدم الا وقولي عليه الحمد لله

وقال :

اذا قلت في شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجب

والا فقل لا فاستريح وأرح بها لكيلا يقول الناس انك كاذب

وقال :

اذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي استودعته السر أضيق

هذه مقاطع قليلة من شعره ونموذجات ضئيلة من نثره . ومن أراد التوسع في كلامه فليرجع الى كتابنا (امراء البيان) يجد كلاماً أوسع ومقتبسات أطول .

* * *

سيداتي سادتي .

اليكم حال الوزير احمد بن يوسف الكاتب البغدادي أخذنا منها ما يعرّفنا اليه اجمالاً بقي أن نتكلم عن صنوه وسميه احمد بن يوسف الكاتب المصري . أما بعد فان احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الدايه لم يشتهر الشهرة التي يستحقها ، ولم يجر له ذكر الا في بعض كتب الرجال وعلى صورة ضئيلة . ومعظم كتب الأدب حتى ما ألفه المصريون منها ، خصوصاً في عهد دولة المماليك ، لم تنقل شيئاً من كلامه الا على الندرة ، مع ان التأليف في ذاك العهد لم يكن غير نقل أقوال المتقدمين في الجملة ، ذلك لأن تآليفه ضاعت . وقديماً سدلت الأيام القناع على كثير من العظماء عقب رحيلهم من الأرض ، اما لفقد ما كتبوا ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واما لقلة أنصارهم ولؤم أعدائهم ، ومنهم من تضاعفت شهرتهم عند مماتهم أكثر من حياتهم ، لسكوت حسادهم عنهم بعد الموت ، ومغالاة أحبابهم فيما صنفوه ودونوه .

ومن عجائب الدهر الا يعد جهابذة الأدب احمد بن يوسف في جملة أعلامه ، وألا يضعوه موضع التكرمة في الصف الأول من رعيل قدماء البلغاء ، ولعل انتقال والده من بغداد الى الفسطاط ونشأته في مصر — في زمن غضب فيه خلفاء بني العباس على مصر وعلى أميرها احمد بن طولون وأبنائه — كان من الدواعي في ضؤولة شهرته ، ومصر أيضاً حتى في عهد الطولونيين وفيه نبغ ابن الداية ، لا تساعي العراق بمنزلتها العلمية ، ولا يتأتى أن يشتهر ابناؤها اشتهار البغداديين ، والى الحضرة في بغداد يحمل كل جميل ، وينعتها الناس بكل حسن ، فتحدث لرجالها شهرة لكثرة ما تردد أسماؤهم على الألسن ، وكيف يتيسر ذلك لأحمد في دولة تعد في عرف السياسة ولاية من ولايات العباسيين ، وولاية خارجة عنهم ، ما هدأ بالهم من ناحيتها حتى قرضوا دولة المتغلبين عليها .

كان يوسف بن ابراهيم والد مترجمنا ولد داية ابن المهدي العباسي فاشتهر بابن الداية ، وهو رضيع ابراهيم بن المهدي وصاحبه ، وكان من أهل الأدب والفضل ، معدوداً من جلة الكتاب . صنف في أخبار ابراهيم بن المهدي كتاباً كما صنف في أخبار المتطببين وغير ذلك ، وذكر اسماء من روى عنهم ورووا عنه وممن روى عنهم من غير المسلمين جبرائيل بن بختيشوع الطبيب وعيسى بن حكيم الطبيب . وانتقل يوسف من بغداد الى مصر وما عرفت سنة انتقاله ولا سبب هجرته ، وجاء دمشق في سنة ٢٢٥ ، ولعله في هذه السنة كان رحيله من العراق الى الديار المصرية ، وكان من أهل المروآت التامة والعصبيات العظيمة ، يُجري على عشرات من أهل الستر والأشراف في مدينة الفسطاط .

ولما حبسه احمد بن طولون (في بعض داره وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه فكاد ستره ينهتك لخوف شمله عليه) جاء جماعة من أبناء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الستر الى احمد بن طولون وطلبوا اليه ان يقتلهم اذا كان معتزماً على قتله وقالوا ان لم ثلاثين سنة ما فكروا في ابتياع شيء مما احتاجوا اليه ولا وقفوا بباب غيره . وكان ذلك سبب رضا احمد بن طولون عن يوسف بن ابراهيم (راجع سيرة احمد بن طولون للبلوي) .

وفي الساعة التي توفي فيها يوسف بن ابراهيم بعث احمد بن طولون أيضاً بخدم فهاجموا الدار وطالبوا بكتبه (مقدرين ان يجدوا كتاباً من أحد من بغداد) فحملوا صندوقين وقبضوا على احمد وعلى أخيه وصاروا بهما الى داره فأدخلوهما اليه وهو جالس وبين يديه رجل من أشراف الطالبيين فأمر بفتح احد الصندوقين وأدخل خادم يده فوقع على دفتر جرايات على الأشراف وغيرهم فأخذ الدفتر بيده وتصفحه وكان جيد الاستخراج فوجد اسم الطالبي في الجرابة فقال له واحمد يسمع : كانت عليك جرابة ليوسف بن ابراهيم . فقال له : نعم أيها الأمير ! دخلت هذه المدينة وأنا مُملِق فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار أسوة بابن الأرقط والعقيقي وغيرهما ، ثم امتلأت يداي بطَوْلِ الأمير فاستعفيت منها .

ذاك الأب النجيب أنشأ هذا الولد النجيب احمد بن يوسف ، فهو نجيب وابن نجيب ، نشأ في بيت خير ومروءة وأدب ، وجاء كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، ومؤرخاً عظيماً ، وطبيباً نطاسياً ، وعالماً بالرياضيات والنجوم ، حتى عرف بالعراق بالمهندس المصري ، كما عرف في مصر بالكاتب ، ووصفوه (مجسطي أقليدسي) وما عرفنا أي نوع من الكتابة كان يتولاه للدولة الطولونية ، ثم انا لم نعرف شيوخه ولا سنة ولادته ولا أصل أمه ولا زمن اتصاله بأحمد بن طولون ، وما نظن الا انه كان شاباً مدركاً في آخر ولايته وحجتنا ان ابن طولون لما بعث بخدمه في الساعة التي توفي فيها يوسف بن ابراهيم وقبضوا على احمد وعلى أخيه وصاروا بهما الى داره ، ان احمد كان شاباً يوم وفاة والده ، ولو كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

طفلاً لتركوه وشأنه يلعب مع الصبيان ولما حملوه الى ابن طولون، وكان هذا أبداً يتخوف من يوسف بن ابراهيم لأنه كان يقدر ان هواه بالضرورة مع بني العباس ، وقد لا يستنكف من نقل أخبار ابن طولون الى أصحاب الدولة في بغداد ، وكان من أهم ما يخشاه ابن طولون أن يعرف العباسيون أخباره وأسراره ، ولذلك أحاط البلاد المصرية في أيامه بشبكة من الرقباء لتخوفه من كل غريب يهبط مصر ، فكيف لا يحسب حساباً لمقام رجل بين ظهرانيه هو من أعظم صنائع العباسيين ، ومن سمو المدارك بحيث لا تفوته حركة من حركاته ولا سكنة من سكناته .

كانت الفسطاط ثم القطائع على عهد بني طولون ثاني بغداد في المرتبة العلمية والاجتماعية ، قصدها من الآفاق كثير من أهل العلم لما عرفوا ان احمد بن طولون « كان متديناً يحب العلماء وأهل الدين » وانه على جانب من العلم والأدب ، واتصل احمد بن يوسف به او بأولاده ، واحمد على كل حال كان فتى في أيام مؤسس الدولة الطولونية . وقد مات ابن طولون سنة سبعين ومائتين ومات احمد بن يوسف في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة . وظن ابن عساكر ان وفاته كانت في سنة أربعين وثلاثمائة ، ولا يعقل ان يكون احمد بن يوسف تام الأدوات في أيام احمد بن طولون بحيث يصلح للدخول في زمرة رجاله ، وعلى كل حال عرفه في أخريات أيامه ثم اختلط برجاله وقواده وثقاته ونقل عنهم أخباره وهو في مقتبل أيامه ، فدونها كما دون سيرة ابنه ابي الجيش خمارويه وسيرة هارون ابن ابي الجيش وأخبار غلمان بني طولون أي القائمين بأمر دولتهم . والغالب ان هذه الكتب فقد أكثرها في نكبة الطولونيين كما فقد كتابه الثمرة الذي فسره احمد وأصله لبطليموس ، وضاع كتابه مختصر المنطق الذي ألفه لعلي ابن عيسى عظيم وزراء بني العباس في عصره ، وكذلك كتاب ترجمته وكتاب أخبار المنجمين وكتاب الطبيخ وغيره ورأينا بعض المؤلفين كالبلوي مؤلف سيرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آل طولون ينقل عن سيرة احمد بن طولون لأحمد بن يوسف الكاتب ورأينا غيره ينقل عنه أيضاً .

ضاعت معظم هذه الكتب ، وربما كانت لنكبة الطولونيين صلة بضياعها ، لأن فيها ولا شك طائفة عظيمة من محاسنهم ، ومحاسنهم مما يشق على العباسيين نشره وتخليده ، ولم يصل الينا من ثلاثة وعشرين مصنفاً من تأليف ابن الداية سوى قطعة من سيرة احمد بن طولون كتبها ابن الداية الا انها مختصرة مبتورة سطت عليها يد المسخ فحيفتها واختلطت ولم يظهر فيها حقيقة تأليفه ، هذا الى ما حملت من أغلاط شائنة بطول الأيام وتعاور أيدي النساخ على كلامه ، والمؤلفين الذين جوزوا اختصاره على هواهم . ومما أبقت الأيام عليه أيضاً قطعة من كتاب السياسة لأفلاطون استخرجها احمد بن يوسف قاصداً فيها الرد على رجل متعصب للفرس بفضلهم على اليونانيين ، وأهم ما أبقت الأيام عليه من كل ما خطته أنامل احمد ابن يوسف من الكتب والأسفار والرسائل كتيّب او رسالة اسمها كتاب (المكافأة) وهو بأسلوبه ورشاقة ألفاظه وبديع نسجه من أبلغ ما كتبت العرب في القصص ، يسلك مع ابن المقفع في سلك واحد ، ولولا هذه الورقات التي عثر عليها من كتاب (المكافأة) لما استدللنا على أنه أبلغ كاتب نشأ في وادي النيل في الدهر الغابر ، وحكمنا هذا مبني على من وصل الينا خبره وأثره .

ومن المكافأة أدركنا كثرة امتزاج احمد برجال الدولة الطولونية وعلمائهم ومهندسيهم ورياضييهم وقوادهم ، وبه تمثلنا صورة ضئيلة من مصر في أيامه ، وسياسة ابن طولون وادارته ، وبه وقفنا على أشياء قد لا يتعرض لها من ترجموا له . فقد قال في علي المتطبب المعروف بالدبدان انه « كان حسن المعرفة لكتب أفلاطون ورموزه ومبرزاً في الطب » وحدث عن هارون بن ملول غير مرة والغالب أنه كان من أعيان البلاد . ونقل عن احمد بن دعيم قال وهذا « كان من خاصة قواد احمد بن طولون بعد أن ترك الديوان وحسن انقطاعه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الله » وعن موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح « وكان هذا من الثقات عند احمد بن طولون » وعن ابي عبد الله الواسطي كاتب احمد بن طولون وعن محمد بن يزيد « وكان حسن التفتش سديد الرأي » وعن احمد بن محمد المعروف بابن ابي عصمة كاتب احمد بن طغان وعن احمد بن أيمن كاتب احمد بن طولون ، وعن احمد بن ابي عمران الفقيه وعن عمر بن يزيد البرقي « وكان جميل المذهب » وعن ابي كامل شجاع بن أسلم الخاسب . ومعظم هؤلاء الرواة لا ذكر لهم فيما بين أيدينا من كتب الرجال . روى احمد بن يوسف في كتابه المكافأة ما سمعه ممن تقدمه وما شاهده في عصره وساق ثنتين وخمسين قصة في المكافأة على القبيح والمكافأة على الحسن « رجاء أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير وتطلب المعارفة في الحسن ، وزجر النفس عن متابعة الشر ، وابعادها عن سورة الانتقام في القبيح ، وقد قالوا : الخير بالخير والبادي أخير ، والشر بالشر والبادي أظلم » .

ولما دخل محمد بن سليمان مصر في سنة ٢٩٢ للقضاء على الدولة الطولونية كان احمد بن يوسف الكاتب يحاذره ويخشى بأسه وكان يستدعي « الواحد بعد الآخر من أسباب الطولونية ويستصفي ماله بالسوط وعظيم الاخافة » وهذا بعد ان كان هو وابوه يوسف بن ابراهيم في حياة احمد بن طولون من المشتبه بهم لأن هواهم مع بني العباس وما ندري وهو الذي جمع سيرة الدولة الطولونية ورجالها ان كانوا بعد راضين عما كتب أم غير راضين . وكان احمد بن يوسف صاحب مزارع انتقلت اليه من أبيه ومنها ما كان على مقربة من المحلة الكبرى كما فهم ذلك من كتاب المكافأة .

وها كم الآن قصتين تنمان عن أدب ابن الداية وعن حاله وحالة مصر في زمنه والقصة الأولى « ولما استفحل أمر ابن الخليج انحاز عنه جيش مصر الى الاسكندرية ، وخلا الفسطاط منهم ، وكنتُ بمدينة أهناس ، واضطربت النواحي ، واحتجت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى مشاهدة الفسطاط ، فتخفرت بأربعة نفر من القيسية ، دفعت اليهم عشرين ديناراً ، وخرجت معهم فأحسنوا العشرة ، وأجملوا الصحبة . وكنا لا نجتاز بحيّ ولا جماعة الا كفونا مؤنة كلامهم وصدفوا عنا بأسيهم ، ولم نزل كذلك دأبنا حتى بلغنا قصر الجيزة . فأقبلت رِعلة من الأعراب قدّرتها برأي العين خمسين فارساً كانت من غير حيهم ، فصممت نحونا برماحها ، وعملت على نهبنا وقتلنا ، ورأيت الموت في أسنتهم ، وأحسن الأربعة الذين تخفرنا بهم لقاءها والتضرع اليهم ، وناشدوهم ألا يخفروا ذمتهم ، وأجملوا التأتي حتى انصرفوا . وجددنا في السير حتى انتهينا الى حيّ المخفرين لنا . فقال المخفرون : قد بلغت الى من تأمنه فحط رحالك ، فما تستقل دوابك الزيادة على هذا السير . فنزلت وتقدمت الى الغلمان في اطعامهم ، ولم أجد للطعام مساغاً من فرط ما لحقني من الرُّوع ، وعملت في المخفرين هذه الأبيات :

جزى الله خيراً معشراً حقنوا دمي ... وقد شُرّعت نحوي المثقفة السمر
دراهمهم مبذولة لضعيفهم ... وأعراضهم من دونها القفر والستر
اذا ما أغاروا واستباحوا غنيمة ... أغار عليهم في رحالهم الشكر
وان نزلوا قطراً من الأرض شاسعاً ... فما ضره الا يكون بها قَطر

فلحظني واحد منهم وأنا أكتبها ، فظن بي أني أكتب الى السلطان فأشتكي ما كان من الفرسان الذين لقونا بقصر الجيزة ، فقال : قد سلّمك الله من أولئك القوم ، وقد أحسنوا الينا في حسن الاجابة لنا ، فلا تكتب فيهم بشيء . فقلت : والله ما كتبت فيهم ولا في غيرهم الى السلطان بشيء ، فقال لي شيخ المخفرين وقد دنا مني : فما تكتب ؟ قلت : أكتب أبياتاً مدحتكم فيها . فقال : وانك لتقرض الشعر . قلت : نعم ، قال : أنشدني على اسم الله ، فأنشدته اياها . فقال : برّك الله ووصلك . ثم صاح بالثلاثة ، فلما اجتمعوا أنشدهم اياها فما خرم شهد الله حرفاً واحداً فعجبت من حفظه لها ، ولم أعد عليه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حرفاً منها ، وتبينت الفرح في سائرهم وحفظوها بأجمعهم . ثم صاح بهم الشيخ : ما تنتظرون أرْحِضوا السوءة عنكم ، فأدخلوا أيديهم في جيوبهم وجمعوا شيئاً أخذه الشيخ منهم . ثم قال لي : قد شكرنا صنيعتكَ والله لا نجمع بين شعرك ووفرك ، ووضع العشرين ديناراً بين يدي ، فأكبرت ذلك وأعظمته فقالوا لي : الصواب ألا يعلم بها عشيرتنا فيرجع عليك منها أكثر مما خفته ممن لقيك بقصر الجيزة . وركبت فسرت مع جمع كثير منهم ، وهم ينشدون تلك الأبيات ، فالتمست أن يقبلوا مني براً فلم أصل الى ذلك ، ورأوا أن الشعر أحسن موقعاً مما ملكته » .

أما القصة الثانية فهي : « وطالبني بعض عمال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي ، فاحتجت الى معاملة بعض التجار عليه ، فدللت على رجل من أهل الشام يعامل برهون ، فصار اليَّ ، وانا في بيت المال ، منه شيخ حسن الصورة ، جميل اللقاء فقال : الى كم تحتاج ؟ قلت : الى مائتي دينار . فأخرج من كمه مالاً فوزنه واستزاد من غلام كان معه دنانير حتى أكمل المائتين . ثم سلمها اليَّ واقتضاني خطاً بها وقال : قد كفيت مؤونة الرَّهن . فقلت : فكيف أكتب الخط ؟ قال : بمائتي دينار كما أعطيتك . فقلت له : سبيل المعاملة غير هذا . فقال : والله لا قبلت منك ربحاً فيها ، ولو وهبتها لك لكان من أصغر حقوقك عليَّ . ثم قال لي : تعرفني ؟ قلت : لا . قال : ركبت مركباً أريد الفسطاط من تنيس وحملت فيه تجارة لي ما كنت أملك غيرها ، حتى اذا بلغت المحلة ووازيت ضياعاً كانت في يدك ، كُسِر بنا وغرق جميع ما أملكه ، وسلمت بحشاشة نفسي فجلست على الشط أبكي وأنتحب ، فأقبلت في جماعة معك فسألتني عن حالي فأخبرتك بها ، فبثثت في حشد من بغوص على المركب وما فيه ، وحططتَ على الشط ، فأخرجوا يزاً كان لي وتلف ما سواه ، واستحلفتني على ما ذهب لي فأخبرتك به ، وكانت قيمته سبعين ديناراً ، فقسمتها لي على وكلائك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكتابك ، فلما حصلت لي أعطيتني دنانير من عندك وقلت لي : هـذا أرش ما لحقك في الثياب ، وأمرت ان يكتب لي الى تنّيس ، وكتبت الى جماعة معامليك بتنّيس بما لحقني وبعوتني على أمري ، فرجع بك الي ما أملك ، وكسبت جاهاً بتنّيس تضاعف مالي به ، وحسنت معه حالي . وأخذ خطي بالمال وانصرف » .

أخلنا الآن وقفنا بعض الوقوف على ترجمة الأحمدين المصريين من القدماء ورأينا انهما كانا من العظماء بأدبهما وبأخلاقهما ، وأنهما يتشابهان من وجوه كثيرة ، وربما كان احمد بن يوسف المصري أعلم من سميه البغدادي ، وكان هذا أوصل الى المأمون فأعجب بأدبه ، وذاك اتصل بالطولونيين ، وهم ما خرجوا عن كونهم أتراكاً من بعض عمال الخلافة ، ولا شك ان للبيئة دخلاً كبيراً في تعظيم أقدار الرجال .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رأس شمرة أو أغاريت

أنقت الحفريات الأثرية في البلاد الشامية أنواراً كاشفة على تاريخ سورية في عهودها القديمة . وبعثت من رمسها صفحات ماضٍ بعيد أغفلتها السطور وغيبتها العصور ، لولاها لفم علينا تاريخ حقبة طويلة من ماضي بلادنا ، ولجهلنا فضل السلف في تشييد حضارة هذا العالم ، ومبلغ مساهمته في ازدهارها ، وأثره البين في تطور الفكر البشري ونموه ، وقد ساعدت الاكتشافات الأثرية على سبك تاريخ سورية بسلسلة مستحكمة الحلقات ، وصلت حاضر القطر بماضيه في خمسة آلاف سنه متصلة وأثبتت ان سورية كانت خلالها مبعث نور سطعت أضواؤه على البشر في فجر نهضته ، وانها كانت العامل القوي في تقدم الحضارة ونشرها في العالم القديم .

احتلت حفريات رأس شمرة منذ مرحلتها الأولى مقعد الصدارة بين مثيلاتها لخطورة انتاجها ، وبذت غيرها بوفرة وثائقها ، وغزارة فوائدها التاريخية ، وكشفت لنا صفحات مجيدة عن أخبار ديارنا خلال الألف الثالثة والألف الثانية قبل الميلاد . ولا يتسع هذا المقال للاحاطة بجميع فروع هذه الحفريات ودقائق أسرارها ، واين لي أن أجمل في صفحات مابسطه غيري في مجلدات وعالجوه في مئات المقالات ، ولكنني سأكتفي هنا بالاشارة الى خطوطها العامة التي استقيتها من مصادرها حتى لا يفوت قراء مجلتنا أخبار هذه الحفريات التي شملت العالم شهرتها وشغلت المعاهد العلمية أعواماً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رأس شمرة .

هو اسم تل يقع شمالي مدينة اللاذقية وبينهما نحو خمسة عشر كيلو متراً ، وهو مشرف على البحر ويبعد ثمانمائة متر عن مينة البيضاء التي عرفها بحارة اليونان الأقدمون باسم لوكوس ليمن (Leukos Limen) وهو مرفأ مدينة أغاريت القديم ومرساها الطبيعي . وتبلغ مساحة هذا التل نحو (٣٦) هكتاراً ، وسطحه غير منبسط وقدر ارتفاع قمته بـ (٢٢) متراً عن سطح الحقول المحيطة به ، ويستثمر الفلاحون أرضه منذ القديم في الأعمال الزراعية . ولا تدل مظاهر التل على مكانته الأثرية وكانت حقيقته مجهولة الى أن كشفتها الحفريات وأظهرت أنقاض المدينة القديمة التي كانت مشيدة عليه .

أغاريت :

بقي الاسم الحقيقي للمدينة التي اكتشفت في تل رأس شمرة مجهولاً عند الآثاريين والجغرافيين ، وقد اقترح لها بعضهم اسماء مدن كانت في القديم عامرة في هذه المنطقة ثم زال رسمها ولم يبق منها سوى ذكرها ، وما لبثت الحفريات ان وضعت حداً لكل ما توهموه ، وكشفت الوثائق التي عثروا عليها بين أنقاضها اسمها الحقيقي وهو : (أغاريت) ، وانها كانت قاعدة ملك دولة سورية ساحلية وهي مملكة أغاريت ، وأحصت هذه الوثائق أسماء (٩٠) بلدة كانت خاضعة لسلطانها وتدفع المال لخزانتها وتقدم الجند لجيشها . ولم يكن هذا الاسم مجهولاً فقد ورد ذكره بصورة مبهمة في نصوص قديمة عثر عليها في الأقاليم المجاورة كرسائل العمارنة في مصر وبوغاز كوى في الأناضول وفي بعض النصوص الفرعونية . وهكذا يبعث اسم هذه المملكة من جديد ليحتل مكانته في التاريخ بعد أن نسي نحو (٣٠٠٠) سنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحفريات :

أوفد المجمع العلمي الافرنسي في ربيع عام ١٩٢٩ بعثة أثرية برئاسه العلامة الأستاذ كلود شيفر (Claude Shaeffer) للتنقيب عن آثار تل رأس شمرة ودأب في العمل الى عام ١٩٣٩ . وتوقف العمل خلال الحرب العالمية الثانية ثم استأنفت البعثة أعمالها في عام ١٩٤٧ . وقد كشفت الحفريات حتى الآن نحو خمس مساحة التل ، وظهر جزء من أنقاض مدينة أُغاريت وسورها ومعابدها ومدافنها وقصرها الملكي . وعثر في هذه الحفريات على ثلاث طبقات متراكمة مثلت فيها ثلاثة عهود مختلفة ، تتميز كل طبقة عن الأخرى بقدمها ونوع مصنوعاتها ومبلغ ثروتها وصلتها التجارية والاجتماعية بغيرها من الأقطار المجاورة لها كمصر وآسيا الصغرى وأرض كنعان وأشور وكلدان وجزر بحر ايجه وبقية أرجاء حوض البحر المتوسط ، وتملي علينا أنقاض هذه الطبقات تاريخها في الف وخمسمائة سنة .

ضمت طبقة ظهر التل السطحية آثاراً بسيطة من العهود العربية والبيزنطية والرومانية والهلينية واليونانية ، وقد تداخلت آثار هذه العهود بعضها ببعض واختلطت من الأعمال الزراعية حتى تعذر تصنيفها وادخالها في تاريخ هذه المدينة ، بيد انه عثر في جزء من هذه الطبقة على حي مشحون بآثار صناعات السواحل اليونانية وجزرها في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد . يستدل بها أن أُغاريت بقيت حتى قبل زوالها الأخير مركزاً مهماً لتصريف البضائع اليونانية التي عمت بلاد الشرق الأوسط في ذاك العصر .

الطبقة الاولى أو أُغاريت الحديثة :

وهي الطبقة التي تلي مباشرة الطبقة السطحية الآنفة الذكر ، تحوي أنقاض المدينة ومعابدها وقبورها وبعض الآثار المنقولة المعدنية والحجرية والعاجية وأواني وحلي ذهبية مصورة وعدداً من الجعرانات المصرية من عهد الأُسرة الثامنة عشرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكيسر أواني رخام نقش على احداها خاتم الفرعون رعمسيس الثاني وقدراً وافراً من الأواني الفخارية المسينية والقبرصية وعثر فيها على كتابات هيروغليفية مصرية وألواح فخارية عليها كتابة أبجدية مسمارية ورموز بابلية وشومارية وحثية وخورية كتب أكثرها في زمن (نكمد) ملك أوغاريت المعاصر للفرعونين أمنوفيس الثالث والرابع وللملك (سوبيلوليوماش) الحثي . وكشفت الحفريات آثار الحريق الذي دمر أكثر المدينة على أثر زلزال شديد ، ويتفق زمن هذه الكارثة مع ما كتبه (ايملك) ملك صور في رسالة بعث بها الى الفرعون أمنوفيس الرابع يقول فيها : «هدمت النيران أغاريت مدينة الملك والتهم الحريق نصفها ، ولم يعثر على نصفها الاخر» . ويمكن تحديد تاريخ ذلك في سنة ١٣٦٥ قبل المسيح . وتتميز هذه الطبقة بوفرة الآثار المنقولة المصرية ويستدل منها على ان أغاريت كانت خاضعة لسلطان مصر ولذلك حاولت أغاريت التحرر من سيطرة مصر فأعلنت في عام ١٤٤٤ قبل الميلاد العصيان وثارت عليها ، وتظهر آثار هذه الثورة ونقمة الأغاريتيين على مصر بتحطيمهم جميع الآثار المصرية التي كانت في عاصمتهم ، وخلد المصريون هذه الحادثة التاريخية في كتاباتهم حينما ذكروا مآثر الفرعون أمنوفيس الثاني الذي أخمد الثورة بقولهم : «ووصل جلالته الى أغاريت وتغلب على جميع أعدائه ثم عاد مغتبطاً بعد أن ضم هذا البلد الى مملكته» . ونرى مما تقدم ذكره ان أغاريت الحديثة كانت معاصرة للدولة المصرية الحديثة وعاشت في سني (١٣٠٠ — ١٦٠٠) قبل الميلاد .

الطبقة الثانية أو أغاريت الوسطى :

وهي الطبقة التي شيدت عليها أغاريت الحديثة المتقدم ذكرها وعثر فيها على أنواع من الفخار السوري والفخار الكريتي من النوع الذي عثر عليه في (كاهون) في مصر داخل مساكن العمال الساميين الذين استخدموا في بناء اهرام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفرعون (سيزوستريس) الثاني ومدافنه الملكية خلال سني (١٨٨٨ — ١٩٠٦) قبل المسيح . وعثر أيضاً على تمثال صغير للأميرة (شنـ.يت نفرحج) زوج الفرعون الآنف الذكر ، ووجد تمثال ابي الهول قدمه الفرعون (امينمهات) الثالث خلال سني (١٨٠٠ — ١٨٥٠) قبل الميلاد . يضاف الى ذلك أنواع من الأسلحة والحلي يمكن بها تحديد عمر أغاريت الوسطى بين سنة (١٦٠٠ — ٢١٠٠) قبل المسيح .

وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف تفاصيل تاريخ أغاريت الوسطى السياسي تجلى لنا أنها كانت وقتئذ حليفة مصر أو خاضعة لها تبادلها انتاجها الصناعي وتتقبل هداياها الملكية . ونأمل أن تزودنا حفريات المستقبل بمعلومات أوفى تعين على كشف ما خفي علينا من تاريخها .

الطبقة الثالثة أو أغاريت القديمة :

ان تاريخ هذه الطبقة هو أشد غموضاً من الطبقة الثانية لتقادم عهدها ، ولأن الحفريات لم تتناول حتى الآن سوى جزء ضئيل منها ، ودلت الحفريات أن حريقاً عظيماً قد دمر أغاريت القديمة بين سنة (٢٣٠٠ و ٢٤٠٠) قبل المسيح وانه هجرها عقب ذلك سكانها زمناً طويلاً حتى اعتلت أنقاضها طبقة تراب كثيفة يختلف غورها بين المتر والمتر والنصف . وقد ظهرت آثار مثل هذا الحريق في مدن كثيرة معاصرة لأغاريت القديمة منها مدينة جبيل وطروادة الثانية مما يؤكد ان الحريق لم ينتصر على أغاريت بل شمل أكثر أصقاع الشرق الأوسط وخاصة فلسطين ولبنان وسورية وغربي الأناضول وجزيرة قبرص ، وهنالك ما يشير الى أن هذه الحرائق شبت اثر زلزال عنيف ترك آثاره في جميع بلاد شرقي البحر المتوسط وغربي آسيا الصغرى . وكان من أعظم النكبات التي حلت في هذه الديار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولنا مما تقدم أن نلخص مراحل تاريخ مدينة أغاريت كما يلي :

الطبقات	العهد	التاريخ
الأولى	أغاريت الحديثة	١٣٠٠ — ١٦٠٠ قبل الميلاد
الثانية	أغاريت الوسطى	١٦٠٠ — ٢١٠٠ 〃 〃
الثالثة	أغاريت القديمة	٢١٠٠ — ٢٤٠٠ (؟) 〃

وانه ليتعذر علينا الآن تحديد تاريخ بداية مدينة أغاريت القديمة ومعرفة ما كانت عليه قبل عام ٢٤٠٠ قبل المسيح . وقد دلت الاختبارات التمهيدية التي جرت في أعمق الطبقات على وجود طبقتين رابعة وخامسة يتصل عهد أقدمها الى الألف الرابعة قبل المسيح أو العصر الحجري الحديث . ولم تزل الوثائق التي عثر عليها حتى الآن محدودة لا تكوّن فكرة واضحة عن تاريخ تأسيس هذه المدينة . ويرجى أن تكشف لنا حفريات المستقبل تاريخ أغاريت في جميع مراحله من بدايته الى نهايته .

اهم الاكتشافات :

بالإضافة الى مئات الآثار المنقولة المكتشفة في الحفريات وقد دلت على براعة الصانع الأغاريتي وسلامة ذوقه فقد عثر معها أيضاً على منشآت عديدة تثبت مهارة البناء الأغاريتي وتفوقه . ومن أهم هذه المنشآت :

١ — مدينة أغاريت التي كشفت الحفريات جميع أدوار حياتها ومراحل عمرانها ، وتبين من خطط المدينة بأنها أسست على نهج موضوع فرض استقامة طرقها وتقسيم أحيائها وأسواقها الى مربعات تكتنفها الطرق والمنافذ ، ولا يختلف تصميم الدور وقتئذ عن الطراز الشامي المألوف في الأرياف ، وتتألف الدار من باحة مكشوفة يحيط بها بيوت السكن وبقية مرافقها ، وقد يكون لبعض الدور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حمامات خاصة اذ عثر في احداها على حوض حجري للاستحمام يشبه أحواض الحمامات الغربية الحديثة ٠

٢ — وعثر على عدة مصانع دينية أهمها هيكل المعبود (داغون) وهيكل ابنه (بعل) ، ولم تكن معابد أغاريت مقتصرة على العبادة بل كانت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد ٠ معاهد ثقافية ودور تعليم شأن جميع المعابد الشرقية الكبيرة ٠

٣ — ان أعظم بناء ظهر حتى الآن في أغاريت هو القصر الملكي وهو من أهم القصور الملكية القديمة التي اكتشفت في هذا الشرق حتى الآن بما كيها في احكام بنائها وسعة أرجائها وتعدد أقسامها ، بنيت جدرانه من حجر نحيت ورصفت أرضه بصفائح حجرية ، ومما يجدر الاشارة اليه وجود مجار مستورة تحت الأرض وداخل الجدران لتصريف مياه الأمطار والأقذار تتألف منها وحدة مع تصميم بناء القصر مما يدل على مبلغ عناية السكان بالنظافة وادراكهم تأثيرها في الصحة ٠

٤ — وعثر تحت أرض بعض غرف القصر والدور الخاصة على عدة مدافن ينزل اليها بسلالم حجرية ٠ وهي في شكل قبو محكم البناء وغاية في الاتقان تشبه المدافن المصرية في ذاك العصر ، وتدل هذه العناية على ان الأغاريتيين لا يختلفون عن بقية الشعوب المعاصرة لهم بتكريم موتاهم وحرصهم على توفير أسباب الراحة والرفاهية لهم وتجهيز القبور بكل ما يفيد الراحل في حياته الثانية ٠ وقد وجدت هذه القبور خالية لأن اللصوص سطوا في غابر الأزمان على هذه المدافن ونهبوا النفائس التي وصلت اليها أيديهم بعد ان حطموا ما زهدوا في حمله ٠

الوثائق المكتوبة :

عثر في معابد أغاريت وقصرها الملكي على عدد كبير من الوثائق تشتمل على أناشيد وفرائض دينية ونصوص أدبية ومراسلات سياسية وادارية ومعاملات مالية وصكوك عقارية وتجارية وعقود اجتماعية وبيانات بأسماء أشخاص ومدن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعقاقير وغير ذلك . كتبت جميعها على ألواح آجر برموز مسمارية باللغات الشومارية والبابلية والحثية والحورية ، وكتبت الكثرة منها بلغة مجهولة تظهر في التاريخ لأول مرة . وما شاع خبر اكتشاف هذه اللغة الجديدة في الأندية العلمية حتى انبرى لها علماء اللغات القديمة يحلون رموزها . وقد توفق بعد جهد سنين الأستاذ (هنس باور) (Hans Bauer) الى حل معظم رموزها وتفهم أكثر معانيها ، وقد ساهم الأستاذان دورم (Dhorme) وفيرولو (Virolleaud) بهذا الجهد وكان لها الأثر المحمود في بعث هذه اللغة وادخالها في عداد اللغات السامية المعروفة .

ومن أثمن ما عثر عليه في القصر لوح صغير كتب عليه (أبجدية رأس شمرا) تتكون من ثلاثين حرفاً برموز مسمارية سهلة التركيب وهي أقدم أبجدية معروفة الى يومنا هذا ، وقد كتبت هذه الأبجدية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ويعتبر اكتشافها أعظم اكتشاف أثري جرى منذ مطلع القرن العشرين . وقد حملت يومئذ الأسلاك البرقية نبأ هذا الاكتشاف الى جميع أمهات صحف العالم التي نشرت خبره في أبرز مكان منها . فلا عجب ان أثارت هذه الأبجدية اهتمام العالم واعجابه ، وهي أجل ابتكار ابتدعه الفكر البشري وجعلت القراءة والكتابة يتناول الأحداث والشيوخ على السواء ولولاها لبقيتا وقفاً على فئة قليلة من المحترفين اكتسبتها بعرق الجبين والجهد الطويل ، وهي بحق معلمة الانسان الأولى وجديرة بتكريم البشر وتقديسه ويحق للديار الشامية ان تعتز بهذه المعجزة التي أتى بها أحد أبنائها فعم نفعها العالم أجمع باستثناء الصين التي حافظت على كتابتها التقليدية القديمة المكونة من (٤٠٠٠) حرف .

ويسرنا ان نردد ما كتبه بحقها مكتشفها الأستاذ كلود شيفر (Cl. Shaeffer) في تقريره عن الحفريات حيث قال : « ان شعباً أنتج مثل هذه المفخرة يستحق أن نبادله الجميل بمثله ويحق له أن يتبوأ مكانة مرموقة في تاريخ العالم » .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القطن واللغة العربية

هل يكون اليَقَق بمعنى القطن ؟

قامت سوق للقطن في بلاد الشام لهذه الآونة المتأخرة فأقبل الناس على زراعته ومجاراة اخوانهم المصريين في توفير غلته . وكثر التحدث عن وفرة الفائدة من وراء تجارته . واستثمار الأطيان الصالحة لغرس نبتته ، وأخذت الحكومة تُعدّ العدّة وتمهّد السُبُل أمام المزارعين وترغيبهم للعمل فيه . فلا غرو اذا تردد ذكره في الأندية ومواطن السمر . وكثر الحديث عنه بين السامرين والمزارعين .

ولبعض الشيوخ المسنين في دمشق ندوةُ سمر اشتهرت بالانتساب اليهم وقد توفروا عليها . ورفهوا عن أنفسهم في التردد اليها . ومل بعضُ هؤلاء الشيوخ يوماً كثرة الكلام في القطن وما له علاقة به . فمال به الحديث الى اللغة ولكن في موضوع القطن أيضاً فقال : ومن اسماء القطن في اللغة العربية (اليَقَق) فيحسن ان نُحيي كلمة (اليقق) ولا سيما ان الفرصة سانحة لإحيائها واستعمالها فيقال مثلاً : يَقَقُ أطيان فلان أجود من يقق أطيان فلان . وبلغ محصول أرض فلان من اليقق خمسين بالة . ومنعت الحكومة استيراد اليقق من الخارج حمايةً ليقق بلادها .

ولم يكد يتم الفاضل كلامه عن (يقق) والنصح باستعمالها حتى ردّوا عليه نصحه ناصحين له بلزوم اطراح هذا اللفظ وهجر استعماله . وضَحِكَ بعضهم من غرابته وثِقَل اللسان به . وسُئلت عن رأيي فيما قاله الفاضل . وعما اذا كان (أي اليقق) ورد بمعنى القطن . أو استعمل اسماً له ؟ فقلت : ان (يقق) ليست من الغرابة وقبح اللفظ بحيث تطرح ويترك استعمالها : اذكروها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مجلسكم هذا المرة بعد المرة تنعم وتسلس وتخف ولا تعود أسماعكم تنبو عنها : فان تكرار ذكر اللفظ وترديده في الأفواه كفيل بصقاله . وتعبيد الطريق الى استعذابه . وترويج استعماله . وما الفرق بين يَقَق وشُقَق التي تستعملونها كثيراً في كلامكم ؟ على أن الغريب من الفاظ اللغة مهما كان ثقيلاً في السمع نابياً عن الذوق ينبغي الاهتمام به . وتفهم معناه . وتبين طرائق استعماله لا لأجل أن نستعمله نحن اليوم في حديثنا وكتابتنا . بل لنتوسل بفهمه وتحقيق معناه الى فهم النصوص القديمة المأثورة في ثقافتنا الدينية . وآدابنا العربية .

ألا ترون ان كلمة (اليقق) التي استهجنتموها وردت في كلام الفصحاء وفي نصوص السنة أيضاً (كما يأتي) . فكلتا (جُمْظُري) و (جَوّاظ) مثلاً لا يحسن ان تحول غرابتها وثقالتها دون معرفة معناهما . ومواقع استعمالها . فقد وردتا في كلام النبوة في مقام اقتضاهما . ولغرض استدعاهما . قال (ﷺ) : (أهل النار كل جُمْظُري جَوّاظ) الجمظري المتكبر الفظ والجوّاظ المتكبر المختال في مشيته . فالمقام يستدعي أن يُقذف هذا المتكبر من شنيع ألفاظ اللغة بما يحكي شناعته . وقبح حالته .

هذا ما يقال في (يقق) من حيث فصاحتها وتحديدُ مواقع استعمالها . اما ما يقال فيها من حيث ورودها بمعنى القطن او اسماً له كما قال أخونا الفاضل فهذا لا أعرفه وكل ما أعرف عن اليقق أنه من مؤكدات الألوان : يقال : أبيض يقق كما يقال أسود حالك . وأصفر فاقع . واحمر قاني . فيحسن ان تراجع المعاجم للتثبت في صحة ما قاله . وكان عزا ما قاله الى القاموس . واتفق وجود القاموس (طبعته الحسينية) تحت متناول أيدينا . فقلّبناها واذا فيها ما نصه (اليقق محركة جُمّار النخل . القطعة بهاء . والقطنُ . وأبيض يقق محركة وككتف شديدُ البياض) هذا ما قاله القاموس ولا أعلم من أين وقع في نفسي الريب من قوله . واستنكار ان تكون اليقق اسماً للقطن . فقلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

للقوم لا ريب في صراحة هذا النص ودلالتهِ على ما أراد صاحبنا . ثم بيتُ النية على تحقيق الأمر واستنطاق المراجع الأخرى . فكان أول ما تصفحت المعاجم المطبوعة البيروتية الحديثة فاذا هي تنقل عبارة القاموس من دون زيادة سوى (الشرتوني) صاحب أقرب الموارد فانه عزا كون (اليقق) بمعنى القطن الى القاموس . فقويت الريبة في نفسي من هذا التخصيص للقاموس . وأهويت بيدي الى معاجمنا القديمة : الصحاح واللسان والأساس والمصباح والمختار وأخيراً المخصّص فلم أجد فيها كلها ما يشعر بان (اليقق) من معانيه القطن . حتى ان (ابن سيده) في المخصص نقل عن ابي حنيفة الدينوري (سيّد من كتب في النبات) : جميع ما يتعلق بالقطن من حيث اسماؤه وأثوابه فلم يذكر ان اليقق من أسماء القطن قط : وعدد من اسمائه البِرْس والكُرسف والعُطب . وهناك اسماء اخرى لما يشبه القطن ذكرها وذكر الأشجار التي تنبتها : كالخرفع (قطن العُشَر) واليلم (قطن القَصَب) والفشْغَة ما تطاير من جوف (الصاصَلّى) قال وهي أي الصاصلى حشيشة تأكل جوفه (كذا) صبيان العراق ـ ذكر ابن سيده عن الدينوري كل هذا مما يتعلق بالقطن ولم يذكر من أسمائه او من أثوابه اليقق !!!

بقي من ضروب التثبّت في الأمر الرجوع الى نسخ القاموس نفسه المطبوع منها والمخطوط .

أما المطبوع فالميمنية والحسينية المصريتان ذكرتا ان القطن من معاني اليقق وقد ذكرنا نص الحسينية الذي كان أول ما راجعناه يوم وقوع الاشكال . وعن المطبوعات المصرية أخذ كل من ألّف معجماً حديثاً في الشرق والغرب . ومثلها ترجمة احمد عاصم التركية للقاموس فانّ نسخته التي اعتمد عليها صرح فيها ان اليقق يكون بمعنى القطن وهذه عبارته (ويَفَق بموغه دينور) اي ويقال للقطن يفق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما مخطوطات القاموس فراجعت منها سبعاً منها مخطوطة مكتبتي (وهي نسخة الأمير عبد القادر الجزائري) وبقية مخطوطات دار الكتب الظاهرية . وجميعها تقول قول المطبوعات من أن اليقق يكون بمعنى القطن سوى واحدة من تلك النسخ فانها أهملت ذكره وهي مخطوطة الشيخ (محمد سنان الدمشقي) وهي نسخة حسنة الحرف واضحة الخط ويظهر انها كتبت في حدود الألف للهجرة وقد كُتب على ظهرها ما نصه : (قابلتها وصححتها على شيخنا الشيخ محمود الكردي [1] في دروس آخرها في غرة شعبان سنة ١١٦٥ مع سبع نسخ في مدرسة المرحوم الوزير الكبير الحاج سليمان باشا (العظم) بمجلسنا بدمشق) والتوقيع (محمد سنان) وقوله (مع سبع نسخ) يدل على أن هذه النسخ السبع لم يُذكر فيها ان القطن من معاني اليقق ، وإلا لدس المصحح كلمة (القطن) في متنه او أشار اليها في هامش نسخة على الأقل .

فبهذه النسخ السبع يزداد عدد النسخ السالبة بحيث يساوي عدد النسخ الموجبة أو المثبتة . بقيت نسخة واحدة أو مرجع واحد هو أجلها قدراً . وأوثقها مصدراً . أعني به شرح القاموس للامام الزبيدي . ونسخته التي علّق شرحه عليها . وهو مطبوع في متناول كل يد . والثقة به لا تقف عند حد . فلما رجعنا اليه وجدنا نسخة متنه لم تقل ما قالته المطبوعات ولا المخطوطات فهي موافقة لنسخة (محمد سنان الدمشقي) ورأينا شارحها الزبيدي نفسه لم يتعرض الى كون القطن يسمى (اليَقَق) ولا الاشارة الى ان هناك نسخاً من القاموس مذكوراً فيها ذلك . وهذا على خلاف عادته كما لا يخفى مع ملاحظة ان الزبيدي وهو يشرح نسخته الخاصة لا بد أن يكون بين يديه مخطوطات أخرى للقاموس .

(١) جاء في تاريخ للرادي ج (٤) ص (١٢٧) : محمود العبدلاني الكردي نزيل دمشق الشيخ العلامة المحقق المدقق الفاضل قدم دمشق وسكنها الى أن مات سنة ١٢٧١ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينظر فيها ، ويقارن بينها . ثم يشرح ما تطمئن اليه نفسه . ويرجح صحته . فليس من الباطل أن أقول ان النسخ المثبتة للقطن تكاد تكون مفقودة في مكاتب القاهرة لذلك العهد الذي عاش فيه شيخنا الزبيدي . ورأيت أن أنهي القول في هذا الموضوع عند هذا الحد وأقرأه في احدى جلسات مجمع دمشق . ثم تفطنت الى ان اتقان العمل يكون بارجاء البحث الى حين حضوري الى مصر ومراجعة مخطوطات القاموس في خزائن دار كتبها العامرة . وخاصة شرح (القَرافي) على القاموس (وفاته سنة ١٠٠٨ هـ) واسم شرحه (القول المأنوس بتحرير ما في القاموس) . وهذا ما كان وجئت الى القاهرة فكان أول ما فعلت أن زرت دار الكتب المصرية وطلبت ما لديها من مخطوطات القاموس فوجدت القرافي في شرحه أو حاشيته لم يتعرض لمادة (يقق) . وراجعت نسخ مخطوطات القاموس وهي عشر فوجدت واحدة منها كتبت سنة ١٠٧٩ هـ أهملت القطن (كنسخة محمد سنان الدمشقية) فلم تذكر انه من معاني اليقق وبقية النسخ ذكرته فقالت (اليقق جُمّار النخل والقطن الخ) فنسبة النسخ الموجبة في مخطوطات دار الكتب المصرية كنسبة دار الكتب الظاهرية . أي أن بضع نسخ أوجبت وواحدة سلبت . وتاريخ نَسْخ هذه المخطوطات بين التسعمائة وبين الالف ومئة وخمسين للهجرة أي انها كتبت في خلال قرنين ونصف .

بعد هذا كله بقيت أفكر في المراجع التي يمكن أن تكشف الستار عن سر وجود كلمة (القطن) في القاموس وعدّها من معاني اليقق فرجعت الى نهاية ابن الأثير في شرح الفاظ غريب الحديث فوجدته يقول في (حديث ولادة الحَسَن بن علي عليهما السلام) مانصه : (ولَفّه في بيضاء كأنها اليَقَق : اليقَق المتناهي في البياض . اهـ) .

فتمثّل أمام عيني اتجاه جديد للبحث : ذلك احتمال ان تكون كلمة « القطن » كانت ثابته في نص النهاية بعد قوله (كأنها) وثبوتها هو الذي أدى الى زيادتها أو دسها في بعض نسخ القاموس من قبل النسّاخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما بسط معنى نص النهاية فهو أن النبي ﷺ شهد ولادة الحسن فلما وضعته أمه لفّته في خرقة بيضاء كأنها من شدة بياضها اليقق . واليَقَق هنا جمع يقَقَة وهي جُمّارة النخل أي شحمته البيضاء . فاليقق هنا أي في نص النهاية اسم للجُمّارة لا وصف . غير أن في قول صاحب النهاية بعدُ (اليقق المتناهي في البياض) في قوله هذا نظر اذ أنه لا يصلح أن يُلحق باليقق بمعنى الجُمّار ولا أن يفسر اليقق وهو اسم به وهو صفة . لأن اليقق الجُمّارة كما قلنا فكان عليه أن يقول : واليقق الجُمّار . أما أن يسكت عن تفسير الجمار الأبيض الذي اسمه اليقق ويعدل الى تفسير اليقق باحد معانيه وهو المتناهي في البياض مع ملاحظة أن اليقق في عبارة الحديث لم يذكر بهذا المعنى فهذا غير مستحب من صاحب النهاية بل هو لعمري مباين لعادته والتزامه الاختصار في كتابه . وبينا كنا في اشكال من نص القاموس اذا نحن في اشكال من نص النهاية ولعل بين النصين نسبة وعلاقة وان يكون تأويل نص النهاية مزيلاً لاشكال نص القاموس :

ذلك ان نجعل أصل نص النهاية هكذا (ولفّته في بيضاء كأنها القطن اليقق) لا الجمار اليَقَق ثم فسر صاحب النهاية اليقق الواقع صفة للقطن بقوله (اليقق المتناهي في البياض) ويصبح هذا التفسير ذا فائدة عظمى من حيث دلالته على ان القطن الذي شبهت به الخرقة البيضاء هو من الجنس الأبيض بياضاً خالصاً . وقد استفدنا من علماء زراعة القطن ان منه ما هو أسمر ومنه ما هو مشرب بحمرة ومنه الخالص الشديد البياض . بل زعم بعضهم ان من القطن ما هو أسود .

فاذا كان ما توقعنا من أن كلمة القطن واردة في أصل نص النهاية ثم سقطت سهواً أو خطأ وأن أصل الكلام (ولفّته في بيضاء كأنها القطن اليقق) ـ اذا كان كذلك ـ كان مؤلف القاموس أو أحد نساخ قاموسه ذهب وهَلُه الى أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القطن يسمى يَقَقاً مذ سمع راوي الحديث يشبه الخرقة البيضاء بالقطن اليقق فظن أن القطن يسمى اليقق . وهكذا وجدت كلة القطن في بعض نسخ القاموس أو على هامشه وبعضها لم توجد فيه .

فالأدلة على ما قلنا من أن القطن مدسوسة في القاموس يمكن حصرها في أربعة:

(١) لم يذكر كتاب من كتب اللغة التي بين أيدينا ان (يقق) تكون بمعنى القطن حتى ولا أبو حنيفة الدينوري الذي استصفى ابن سيده معظم أقواله في مخصصه .

(٢) لم يثبت أن الفيروزابادي صاحب القاموس دوّن اليقق بمعنى القطن في قاموسه بدليل ان هذا المعنى وجد في بعض نسخه دون بعض .

(٣) ان الزبيدي أكبر شراح القاموس لم يذكر في مادة يقق أن اليقق يكون بمعنى القطن بل يظهر أنه لم يطلع على نسخةٍ ما فيها هذا المعنى ولو اطلع لأشار الى ذلك ولا سيما انه القائل في مقدمة شرحه للقاموس واصفاً له ما نصه : (وافٍ ببيان ما اختلف من نسخه والتصويب لما صحّ منها) .

(٤) وأخيراً ان دوزي في معجمه (مكمل المعاجم العربية) لما تكلم على مادة يقق قال ما ترجمته (يقق : تجد أمثلة لاستعمالها من دون أبيض في الكامل ص ٣٣٠ سطر (١٠) وفي المقّري جزء (٣) ص (١٦٠) سطر (١٧) طبعة ليبسك سنة ١٨٦٤) وأراد بالكامل كامل المبرد طبعته الأوربية فراجعناها على أمَل ان تكون اليقق ذُكرت بمعنى القطن لا صفة تابعة مؤكدة للون القطن بالبياض فاذا المثال فيها يدل على أن مراد (دوزي) بما قال انما هو استعمال يقق بمعنى الوصف أي المتناهي في البياض وقد حذف موصوفه . وهذا ما رواه من الشعر لبعض الفضلاء وهو قوله :

(قد كنت أرتاع للبيضاء في حَلَكٍ فصرت ارتاع للسوداء في يَقَق)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي أصبحت أذعر للشعرة السوداء في شعري اليقق : فاليقق في هذا صفة حذف موصوفها لدلالة السياق . وهو التذمر والتشاؤم بالشيب . فلا شاهد في البيت لاستعمال يقق بمعنى القطن . ولم[1] نظفر بنسخة (المقري) المطبوعة في ليبسك لنرى مثاله الذي استعملت فيه (يقق) وحدها من دون إلحاقها بأبيض . وهو في الغالب مثل ما في كامل المبرد . ولا يخفى أن دوزي الذي ذكر هذا لو ظفر بشاهد في الكتب وما أكثرها بين يديه على استعمال اليقق بمعنى القطن لذكره .

هذا وأخص بخي بقولي : ان جعل يَقَق اسماً بمعنى القطن لا دليل عليه في عامة أقوال اللغويين . وما في بعض نسخ القاموس . سهوٌ أو مدسوس .

المغربي

(١) ثم ظفرنا بنص المقري بواسطة زميلنا الأستاذ عبد الحميد العبادي بك فاذا هو قصيدة لبعض شعراء الأندلس يصف فيها خيل (المنصور) ويعدد ألوانها (فمن يقق كالطرس . . . وأبلق . . . وورد . . . وأشقر الخ)
فاليقق في هذا النص انما اريد به أيضاً معنى التناهي في البياض لا معنى القطن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نهضة اللغة العربية

للتعبير عن حاجات الحياة المصرية والتعليم العالي [1]

لمحة تاريخية :

وَضْعُ الأمة العربية اليوم من مدنية الغرب شبيهٌ بوضعها في صدر الاسلام من مدنية الروم وفارس . وحاجة اللغة العربية اليوم الى التعبير عن العلوم الحديثة وعن حاجات الحياة العصرية شبيهٌ بحاجتها الى مثل ذلك في القرون الوسطى . والوسائل التي يجب اتخاذها في هذا الزمن لإيجاد مصطلحات في العلوم والمخترعات الحديثة لا تختلف عن الوسائل التي اتُّخذت في الأزمان الماضية .

ففي أيام الجاهلية كان معظم العرب في جزيرتهم قبائل بدوية مهنتها تربية الخيل والإبل والضأن . وكان المتحضرون فيهم قلة تتَّجر مع القبائل ومع البلاد المجاورة ، فكان من الطبيعي أن تعيش عيشة بسيطة ، وأن تكون لغتها بسيطة أيضاً ، على الرغم من شتى المدنيات التي قامت قبل الاسلام في بعض أنحاء الجزيرة العربية .

ولكن يجب أن لا يُفهم من قولنا « لغة بسيطة » ان اللغة العربية كانت أيام الجاهلية في بساطة لغات بعض القبائل الافريقية أو الآسيوية في أيامنا هذه . فالحقيقة ان العربي في جزيرة العرب رجل ذكي فقّاد توّاق الى المعرفة ، ولذلك كان لديه لهجة هجائية مكتوبة ، فيها أدب وشعر وحكم وأمثال وأساطير ، وفيها أسماء عديدة لما كان يعرفه العربي في تلك الأيام : كنباتات الجزيرة

(١) دراسة للأمير مصطفى الشهابي بطلب من منظمة « اليونسكو » في هيئة الأمم المتحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحيواناتها وتضاريس أرضها ، وكخلق الخيل والأنعام وأمراضها ، وكزراعة الحبوب والنخل والكرم وغيرها ، وكمعرفة النجوم والجويات والحساب . ومع هذا يجب القول بأن معرفة العرب لهذه الأشياء لم تكن كافية لعدها علوماً .

ثم ظهر الاسلام ونزل القرآن الكريم . ومن المعلوم ان القرآن كتاب دين ودنيا على السواء . فلما مست الحاجة الى فهم آياته ، والى فهم أحاديث النبي العربي (ﷺ) ووصاياه ، نشأت علوم جديدة اسلامية من تفسير وفقه وحديث . واقتضى ذلك العمل الكبير ايجاد مصطلحات عديدة استنبطها العلماء من صلب اللغة العربية ، إما بالاشتقاق ، وإما بالتضمين أي بتحوير معاني الألفاظ القديمة .

ولما امتدت الفتوحات الاسلامية أدخلت العرب الى لسانها عدداً لا يستهان به من اسماء المآكل والملابس والأثاث والفنون الجميلة والأدوات الحربية والمصطلحات الادارية والأعمال الزراعية . وكثير من هذه الأسماء عُرِّب تعريباً من الفارسية والسريانية واليونانية .

أما العلوم فقد تنبهت العرب في أواخر عهد الأمويين الى نقلها الى العربية ، فظهرت في ذلك الزمن نواة التأليف والترجمة . ثم تقدمت الحركة الثقافية أيام الرشيد العباسي ، وبلغت أوجها أيام ابنه المأمون .

وكان المأمون عالماً وتصيراً للعلماء ، فنُقلت في أيامه الى العربية زبدة من علوم اليونان وفارس والهند . ثم استمر هذا العمل بعده ، وهكذا دخل العربية مصطلحات جديدة في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والمواليد والزراعة ، مما اشتملت عليه أمهات المعجمات العربية كالمخصص والصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس . وصارت المصطلحات العلمية في تلك المعجمات صالحة للتعبير عن العلوم القديمة اجمالاً ، كما صارت نواة للتعبير عن بعض العلوم الحديثة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قدماء النَّقَلة ووسائل النقل :

ولا بد لنا من التساؤل عمن نقل هذا التراث العلمي العظيم الى اللغة العربية ، وعن الوسائل التي اتُّخذت لجعل تلك اللغة تتسع لذلك التراث ، ولما أضافه العرب اليه بعدئذ من نتاج بحوثهم العلمية .

فمن المعلوم ان معظم القدماء من علماء اللغة كانوا جمعوا مفرداتهما بالسماع من بعض القبائل العربية التي لم تفسد باختلاطها بالأعاجم ، وان هؤلاء العلماء لم يعدّوا من صحيح الكلام العربي الا ما نطق به أهل الجاهلية والمخضرمون الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام . وقد اقتصروا هم وأصحاب المعجمات الأولى على ما جمعوه ، ولم يجيزوا لأنفسهم اشتقاق كلمات جديدة ، بل حظروا الاشتقاق ، ولكنهم أجازوا التعريب . ومع هذا فقد عدوا كل كلام وُضع بعد صدر الاسلام مولداً ودخيلاً على العربية ، وحكموا بمنع استعماله .

ولو لبث رأي المحافظين سائداً لجمدت اللغة العربية ولاستحال تنميتها . ولكنه من حسن حظ هذه اللغة كونه عاش منذ القديم قلة من المجتهدين الأحرار (كأبي علي الفارسي وابن جني) أجازوا للمتأخرين من علماء اللغة الدوام على تنميتها بالوسائل التي اتُّبعت قبل صدر الاسلام ، أي بايجاد ألفاظ جديدة (بالاشتقاق والنحت والتعريب) وبضمها الى اللغة ، وبعدّها صحيحة ، صحة التي دُوِّنت بالسماع عن العرب قبل صدر الاسلام .

وكان لزاماً على نقلة العلوم من اليونانية أو من السريانية في عهد العباسيين أن يكونوا من الأحرار ، ولو اتبعوا رأي المحافظين لما استطاعوا هم ومن أتى بعدهم من جعل اللغة العربية مستودعاً وحيداً للعلوم القديمة طيلة قرون عديدة .

ولم يكن نقلة العلوم القديمة الى العربية من علماء اللغة ، بل كانوا من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المستعربين ، وكان جلهم نصارى أخضعوا اللغة العربية لأغراضهم ، وجعلوها صالحة لاستيعاب تلك العلوم[1] .

وقد عمدوا هم ومن أتوا بعدهم الى اتباع وسائل ناجعة في الترجمة . ومن هذه الوسائل :

١ — ابدال المعنى القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

٢ — اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية للدلالة على المعنى الجديد .

٣ — تعريب كلمات أجنبية وعدّها صحيحة .

٤ — ترجمة الكلمات الأجنبية بمعانيها . وسنرى ان هذه الوسائل هي التي ينبغي لعلماء أيامنا هذه ان يرجعوا اليها في جعل اللغة الضادية تتسع للعلوم الحديثة .

عيوب المعجمات العربية :

عند ما أخذ علماء العرب والمستعربون من علماء المشرقيات في هذه الأيام يؤلفون بالعربية أو يترجمون اليها رجعوا الى الأمهات من معجمات هذه اللغة فاتضح لهم ما يلي :

١ — خلوّ هذه المعاجم من الفاظ كثيرة دخلت العربية على كر العصور ، ولم تدوّن في المعجمات المذكورة لأنها — أي الألفاظ — عُدت من المولد أو الدخيل ، أي مما لا يجوّز أصحاب المعجمات استعماله . وقد جمع دوزي في معجمه المشهور عدداً كبيراً من هذه الألفاظ .

٢ — خلو المعاجم المذكورة من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة وهي تعد بالألوف من الألفاظ .

---

(١) من هؤلاء النفر حنين بن اسحق النسطوري وثابت بن قرة الحراني وابن ماسويه وابن البطريق وقسطا بن لوقا البعلبكي وابن وحشية والطوسي وحجاج ابن مطر الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ — من أهم عيوب معجماتنا العربية كون عدد عظيم من الأسماء المدرجة فيها قد فُسر تفسيراً بعيداً عن التفسير العلمي . وها كم ثلاثة أمثلة فقط على ذلك :

(الاول) : ان الطير فيها هو كل ما يطير ، ولذلك أُدرج الجراد والذباب والنحل في جملة الطير ، على حين انها من الحشرات .

(الثاني) : ان كلمة حشرة لا تدل في معجماتنا على ما تدل عليه كلمة Insecte الفرنسية تماماً . فالفأر في معجماتنا حشرة ، وكذا الجرذ والحرباء والعظاية ، على حين أنها تنتسب في التصنيف الحديث الى حلقات بعيدة عن حلقة الحشرات .

و (الثالث) : ان تعريف الشجرة في المعجمات المذكورة يختلف عن تعريفها علمياً . ففيها ان كل نبات قام على ساق هو شجرة ، سواء أكان سنوياً أم محولاً أم معمراً ، وسواء أكانت ساقه هشة أم خشبية . ولذلك ترى فيها ان الخشخاش شجرة ، والقنب شجرة ، والخردل شجرة . ومن المعروف انها كلها أعشاب سنوية لا أشجار بالمعنى العلمي الحديث .

والغاية من ذكر هذه الأمثلة الثلاثة بيان ما يبدو لنا من ضرورة لتحديد معاني الألفاظ تحديداً علمياً في معجماتنا العربية .

(٤) من عيوب المعاجم المهمة أيضاً خلط أعيان المواليد في التسمية . واطلاق الاسم الواحد على أكثر من نبات او حيوان واحد . ومرد ذلك الى جهل القدماء بالتصنيف الحديث المبني على تشريح الأحياء الدقيق . مثال ذلك ان معجماتنا لم تفرق بين الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ، بل عرّفت الواحد بالآخر . وكذلك لم تفرق بين الأوز والبط ، ولا بين الأنقليس والجرّي ، ولا بين اللوز والبندق الخ .

(٥) كثير من الأسماء قد عُرّفت في معجماتنا تعريفاً ناقصاً ، فالشحرور مثلاً عُرّف بكلمة « طائر » ، والسمّر بكلمتي « نبات معروف » وهكذا . ولا بد من اللجوء الى تعريف أمثال هذه الأسماء تعريفاً علمياً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٦) في المعجمات كما في الكتب العلمية القديمة أغلاط علمية وخرافات لا يقبلها العلم الحديث . ولا حاجة الى ذكر الأمثلة فهي عندي كثيرة .

(٧) تبدّل في الاستعمال الحديث مدلول بعض الأسماء القديمة . فكلمة « بَلَسان » مثلاً تطلق اليوم على النبات المسمى بالفرنسية Sureau على حين انها تدل في معجماتنا على نبات Balsamier . وكذلك كلمة « قَيْقَب » فهي تطلق اليوم على الشجر المسمى Erable ، أما في المعاجم فهي تدل على الشجر المسمى Azédarach الخ .

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة جداً ان الأمهات من معجمات لغتنا العربية لا تصلح لزماننا هذا ، على الرغم من الجهد العظيم الذي كان علماء اللغة القدماء بذلوه في تصنيفها . وهم يُشكرون على ذلك لأنه ما كان في امكانهم أن يصنفوا أحسن منها في ظلمات القرون الوسطى .

ومن المؤسف القول بأن معجماتنا العربية الحديثة (كمحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والمنجد وغيرها) وان جاءت صورة صغيرة مشذبة للمعجمات القديمة ، فهي قد اشتملت من الوجهة العلمية على معظم ما فيها من عيوب ، ولذلك فهي أيضاً لا تصلح لهذا الزمن ، لأن ألفاظها غير معرّفة تعريفاً علمياً ، ولأنها — أي المعاجم الحديثة — جاءت خالية من المصطلحات العلمية التي خلت منها المعجمات القديمة .

النهضة الحديثة واللغة العربية :

بعد استيلاء التتر والمغول والسلاجقة والمماليك وغيرهم على بلاد الخلافة العباسية ، وبعد خروج العرب من الأندلس ، خبا نجم المدنية العربية ، ووقف اللسان العربي عن التقدم بضعة قرون . وبينما كانت أوربة تسير بخطى حثيثة في نهضتها العلمية الحديثة كانت الدولة العثمانية المسيطرة على الأقطار العربية تغطّ في نومها حتى سُميت بالرجل المريض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويرى الكثيرون ان بدء النهضة العربية الحديثة في مصر يرجع الى أيام غزو نابليون الأول لها . فمنذ تلك الأيام أخذ الناس فيها يشعرون برجحان العلوم الحديثة ، وبالقوة المادية المنبعثة عن الأخذ بها ، وجعل المفكرون يتطلعون الى معرفة أسرار تلك العلوم .

ثم جاء محمد علي الكبير فأدرك بفرط ذكائه ومضاء عزيمته ان لا سبيل الى اتقاء تسلط الدول الغربية ، والى تأسيس ملك راسخ في مصر الا برفع غشاوة الجهل عن عيون الشعب ، وان ذلك العمل متوقف على تلقينه العلوم الحديثة بالوسائل التي اتخذها الأوربيون أنفسهم . وهكذا فتح محمد علي عدداً كبيراً من المدارس الحديثة . وجلب لها الأساتيذ من أوربا ، وأقام التراجمة الى جانبهم . وبعث التلاميذ يدرسون في مدارس الغرب ، وحملهم بعد عودتهم على نقل زبدة العلوم الحديثة الى العربية ، حتى أشبهت أيامه في القرن الماضي أيام المأمون في بغداد .

أما في الشام فالنهضة الحديثة بدأت في أوائل القرن التاسع عشر . وهي ترد الى عوامل كثيرة منها الأرساليات الدينية ، ومنها بعدئذ الجامعة الأميركية فالجامعة الفرنسية في بيروت ، ومدارس الجمعية الخيرية أيام الوالي مدحت باشا في دمشق سنة ١٨٧٨ الخ . وقد كان للجامعة الأميركية خاصةً تأثير يذكر في اللغة العربية ، لأن أساتيذها كانوا علماء أتقنوا العربية ، وجعلوا يلقون دروسهم بها في السنين الأولى من حياة الجامعة المذكورة . وقد ترجموا الى العربية وألفوا بها عدداً من الكتب في علوم مختلفة . أما اليوم فأوسع مصدر للكتب الجامعية ولمصطلحاتها العلمية انما هي الجامعة السورية بدمشق التي تدرّس بالعربية .

ومن المفيد ان نذكر كون اللغة التركية في الدولة العثمانية كانت خالية من الأسماء العلمية تقريباً . فلما صحت عزيمة تلك الدولة في القرن الماضي على تعليم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلوم الحديثة في مدارسها راح علماؤها يفتشون عن المصطلحات العلمية العربية ويدخلونها في لغتهم حتى بلغت تلك المصطلحات العربية ٨٠ في المائة تقريباً من مجموع تلك اللغة في الكتب العلمية التركية .

والنقل في بدء النهضة الحديثة قام بجهود أفراد من العلماء تحلوا بصفات ثلاث لا غنى عنها وهي : اختصاص بالعلم أو الفن ، واتقان للغة الأجنبية التي ينقلون عنها ، ومعرفة لأسرار اللغة العربية ولوسائل تنميتها .

وكثير من المصطلحات الجديدة التي وضعها الأفراد في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر حسنة في الجملة . ولكن كثيراً منها أيضاً يحتاج الى تعديل او الى وضع ما هو أصلح منه . ومنذ عشرين سنة الى اليوم وضع بعض الأفراد معجمات أعجمية عربية في بعض العلوم استفاد منها أساتيذ المدارس فوائد لا تنكر[1] .

ومن المؤسف بأنه لم يكن ثمة صلات بين الأفراد في وضع المصطلحات ، ولا منهج ثابت يتبعونه في وضعها . فهذا يجد للكلمة الفرنجية مصطلحاً قديماً موافقاً ، وذاك يعرب الكلمة المذكورة تعريباً ، والثالث يترجمها بمعناها . ويتم ذلك دون اطلاع الواحد على ما فعله الآخر . ولهذا تعددت الأسماء للمسمى الواحد ، ومست الحاجة الى مجمع لغوي عربي مشترك لا لوضع المصطلحات عامةً او اقرارها ، بل لتوحيد ما وضعه العلماء منها في مختلف الأقطار العربية ، بحيث يكون لكل معنى علمي مصطلح واحد .

---

(١) منها معجم الحيوان بالانكليزية والعربية للدكتور امين باشا المعلوف ، ومعجم أسماء النجوم بالانكليزية والعربية للمؤلف نفسه ، ومعجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ، ومعجم العلوم الطبيعية والطبية للدكتور محمد شرف ، وهو انكليزي عربي ، ومعجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، وهو من تأليفي ، يشتمل على نحو تسعة آلاف لفظ ، منها ثلاثة آلاف من وضعي ، وقد عُرِّفت فيه الكلمات تعريفاً علمياً موجزاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجامع اللغوية العربية :

لقد أدرك مثقفو العرب وأدركت الحكومات العربية أن عمل الافراد في وضع مصطلحات العلوم لا يكفي لسد حاجة اللغة العربية وحاجات الحياة العصرية اليها ، ولذلك حصلت محاولات كثيرة لنقل هذا العمل الصعب الى أيدي الجماعات . ففي مصر حاول السيد توفيق البكري منذ سنة ١٨٩٢ تأليف مجمع لغوي عربي ، فتم له ما أراد . لكن عمر هذا المجمع كان قصيراً وكان نفعه ضئيلاً . وفي سنة ١٩١٧ ظهر مجمع لغوي برئاسة شيخ الجامع الأزهر فلم يُكتب له البقاء . ولم تعش أيضاً المجامع التي قامت في بيروت وبغداد وعمّان بعد الحرب الكبرى بمعونة حكومات لبنان والعراق وشرق الأردن . لكن حكومة العراق أنشأت أخيراً في سنة ١٩٤٧ أحدث مجمع وهو المجمع العلمي العراقي أهم أغراضه « العناية بسلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطاليب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة » وللمجمع أغراض علمية أخرى وله مجلة فيها بحوث علمية ولغوية مفيدة .

وأقدم مجمع قاوم العقبات واجتازها هو المجمع العلمي العربي بدمشق . فقد تأسس سنة ١٩١٩ ، وكانت الحاجة يومئذ الى المصطلحات العسكرية والحكومية أهم الأسباب التي دعت الى تأليفه . ثم اتسعت أعماله وأصبح بموجب نظامه يُعنى باللغة العربية وآدابها ، وبتراث العرب العلمي ، وبتأسيس دور الكتب ، وبتاريخ العرب والمسلمين . وله مجلة تصدر بانتظام منذ سنة ١٩٢٤ فيها بحوث لغوية وأدبية ودراسات للمخطوطات ، ومحاضرات للأعضاء ، وفيها جملة من المصطلحات العلمية في علوم مختلفة .

والمجمع الذي اقتصر نشاطه على اللغة العربية وحدها هو مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر . فقد صدر في ديسمبر سنة ١٩٣٢ مرسوم بتأسيسه ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعُين أعضاؤه الأول في سنة ١٩٣٤ ، ثم زيد عددهم . ويقضي نظامه بأن يكون من أعضائه العاملين من الأقطار العربية الأخرى ومن المستشرقين . وله أيضاً أعضاء مراسلون كمجمعي دمشق وبغداد .

وقد وضع هذا المجمع قرارات تيسر عمل العلماء الذين يعملون في وضع مصطلحات العلوم وحاجات الحياة العصرية . وهذه القرارات مهمة جداً لا يمكنني اجمالها في هذا البحث . وحسبي القول بأنها فتحت كثيراً من أبواب القياس التي كانت مغلقة ، ودلت على أن أعضاء المجمع يُعدون من العلماء الأحرار العاملين على تقدم لساننا ، مع المحافظة على سلامته .

وللمجمع المصري لجان تضع المصطلحات العلمية في شتى العلوم وحاجات الحياة العصرية ، ومجلس مؤلف من الأعضاء المصريين ينظر فيها ، ومؤتمر يعقد في شتاء كل سنة لإقرارها . وللمجمع مجلة سنوية تشتمل على المصطلحات التي أقرت ، وعلى دراسات لغوية مفيدة . وقد وقفت هذه المجلة عن الصدور في سني الحرب الكبرى الثانية ، ثم عادت الى الصدور في السنة الماضية . ومجموع ما صدر منها خمسة مجلدات تشتمل على مئات من المصطلحات في العلوم مع مقابلها بالانكليزية والفرنسية أو بالانكليزية وحدها .

وأعمال المجمع وان تكن بطيئة فهو اليوم أصلح أداة لخدمة اللغة العربية في اقرار المصطلحات العلمية .

طرائق نقل المصطلحات العلمية الى العربية :

من القواعد المتبعة والتي أقرها مجمع مصر : (١) ترجيح الكلمات العربية الواردة في المعجمات القديمة على غيرها . (٢) ترجيح الكلمات المعربة قديماً على التي عُرِّبت حديثاً . (٣) ترجيح الكلمة الواحدة على الكلمتين أو اكثر للدلالة على المعنى الواحد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وطرائق نقل المصطلحات العلمية كثيرة مختلفة على حسب العلوم . ولنذكر بايجاز رأينا في وضع مصطلحات بعض العلوم مبتدئين بأسماء النباتات ومعظمها لم تعرفه العرب ، وليس له أسماء في المعجمات ، ولا في كتب النبات القديمة . ومعلوم ان علماء النبات الذين يسيحون في أنحاء الأرض لالتقاط الأعشاب كثيراً ما يحارون في كيفية وضع أسماء لأجناسها العديدة . فالنباتي يبدأ باطلاق اسمه على أحد الأجناس النباتية ، ثم يطلق أسماء العلماء المشهورين على أجناس أخرى . ثم ينبادر الى ذهنه أسماء ملوك او أمراء او حكام او آلهة من آلهة القدماء او مدن او أقطار من الأرض . ومتى نفدت لديه هذه الأسماء يعمد الى أبرز صفة في النبات فيسميه باسمٍ من أصل يوناني او لاطيني يفيد معنى هذه الصفة . وهذا القسم الأخير من الأسماء هو الأكبر عدداً . فالعالم العربي الذي يريد نقل هذه الأسماء الى العربية يجب أن يكون عارفاً بوجود اسم عربي قديم للنبات أم لا . فاذا وجد له اسماً عربياً أو معرباً قديماً رجحه على غيره . وان لم يجد له اسماً عربياً ، نظر في اسم الجنس العلمي فاذا ألفاه يدل على عَلَم عربه اضطراراً (مثل دهلية Dahlia الموضوعة تنويهاً باسم النباتي السويدي دهل ، ومكلورة Maclura نسبةً الى المواليدي الأميركي مكلور الخ) . أما اذا ألفاه دالاً على صفة بارزة من صفات النبات ، ترجمه الى العربية بمدلول معناه ، فيقول «اذن الدب» للنبات المسمى أركتوتيس Arctotis ، ورملية أو زهرة الرمال للنبتة المسماة أرينياريا Arenaria ، وشجرة البهاء للشجرة التي تدعى كالودندرون Calodendron الخ .

ولا حاجة الى تعريب أسماء الأجناس التي لها معنى . أما الألفاظ الدالة على النوع فلها أيضاً معانٍ يمكن ترجمتها فنقول مثلاً : خبازة مجعدة Malva crispa ، وخبازة صغيرة الزهر M. parviflora ، وخبازة حرجية M. sylvestris ، ولا نقول خبازة كرسبا وخبازة برفيفلورا وخبازة سلفستريس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما ألفاظ النبات الدالة على الصنف فاذا كان لها معنى ترجمت . واذا كانت منسوبة الى علَم عربت . ومن المعلوم ان الأصناف النباتية ، ولا سيما الزراعية منها قد ازدادت كثيراً حتى صار موجدوها يعرفونها بالأرقام أحياناً .

وهذه الطريقة التي اتبعتها في وضع أسماء للنباتات يمكن اتباعها في وضع اسماء للحيوانات أيضاً . والمعلوم أن معرفة أصول الأسماء العلمية لا غنى عنها في القيام بمثل هذا العمل .

ولعله يجب أن اذكر ملاحظة ترد الى الخاطرة ، وهي ان لكثير من أعيان المواليد اسماء عامية مشهورة ، فمن المفيد اقرار المناسب من هذه الاسماء واستعمالها الى جانب الاسماء العلمية .

وفي الاسماء الكيماوية لواحق وكواسع عديدة تضاف الى أول الاسم او الى آخره فتقلب مدلوله مادة جديدة . ويختلف علماء العربية في طريقة نقل الأسماء الكيماوية الى العربية ، فمنهم من يرى ترجمتها ، ومنهم من يرى تعريبها . وأنا من أنصار الرأي الثاني ، لأن اللواحق والكواسع المذكورة من الكثرة بحيث لا يستطاع ايجاد مقابل لها كلها في اللغة العربية . وعلى هذا نستعمل اسماء الأجسام الكيماوية كما وردت في اللغة الأجنبية . ولكنه من الضروري الاتفاق على اللغة الأجنبية كأن تكون الفرنسية او الانكليزية مثلاً .

ومن السهل في ترجمة الألفاظ الطبية اتخاذ قواعد ثابتة تجاه اللواحق والكواسع التي تلحق الأسماء فتدل على نوع من الأمراض ، او على صفة للمريض . فالكاسعة ايت Ite مثلاً تترجم بالتهاب فيقال التهاب المثانة Cystite ، والكاسعة متر Mètre تترجم بمقياس فيقال مقياس الكثافة Densimètre ، واللواحق والكواسع التي هي من هذا القبيل كثيرة مثل Pathie للمرض و Algie للألم و Logie للعلم أو البحث الخ . فيتألف الاسم العربي فيها من كلمتين غالباً . وهناك محاولات شتى لتأليف الاسم العربي من كلمة واحدة بدلاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من كلتين ، كقولهم مستكشف بدلاً من مقياس الكثافة وهكذا . والبحث في هذا الموضوع طويل .

هذه أمثلة عن الطرائق التي يجدر بنا اتباعها في نقل الفاظ بعض العلوم الى العربية . ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نبحث في مصطلحات العلوم الأخرى .

* * *

الخلاصة :

تتعصب الشعوب العربية للغتها قومياً ودينياً . وتسعى الدول العربية المستقلة لجعل هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية . ومن المؤكد انها اليوم تتسع لجميع العلوم التي تدرّس في التعليم الثانوي ، وفي دور المعلمين الابتدائية ، وفي المدارس الزراعية والصناعية والتجارية المتوسطة .

أما العلوم التي تدرّس في الجامعات فبعضها يمكن تدريسه بالعربية دون كبير عناء ، كالعلوم الحقوقية على أنواعها ، وكالرياضيات والفلسفة وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلك . وفي تدريس بعض مطولاتها بالعربية صعوبة يلاقيها الأساتيذ كعلوم الطب والهندسة والكيمياء وعلم الحياة وعلم الأنساج وغيرها كثير .

وقد نتج عن هذه الصعوبة كون الطب والهندسة يدرّسان الآن بالانكليزية في جامعات القاهرة وبغداد . أما الجامعة السورية في دمشق فهي تدرّس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : (طب ، صيدلة ، طب أسنان ، هندسة ، علوم ، آداب ، حقوق ، دار المعلمين العليا) . وقد خدم أساتيذها العربية بايجاد مصطلحات علمية عديدة ، وبتأليف مؤلفات عربية مفيدة في الدروس التي يلقونها على التلاميذ .

ويجب أن لا ننسى ان ثمة مصطلحات علمية عديدة لم يجد أساتيذ تلك الجامعة لها مقابلاً عربياً فتركوها على حالها ، أي على ما هي عليه بالفرنسية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما أن الكتب التي ألفوها محدودة لا تسمح لخريج الجامعة بأن يوسع معلوماته في بعض العلوم .

وبناء على هذه الملاحظات وغيرها يمكننا القول بأن للمفكرين العرب ثلاثة آراء في لغة التعليم العالي : الأول جعل التعليم العالي كله بلغة أجنبية . وأصحاب هذا الرأي قلة ليس لها كبير تأثير ، والعمل به مضر باللغة العربية ضرراً كبيراً .

والثاني تدريس بعض العلوم بالعربية ، وبعضها بلغة أجنبية ، على ما هي الحال عليه في جامعات مصر والعراق . وأصحاب هذا الرأي كثيرون في ذينك القطرين . والرأي العام متجه الى تعميم التعليم بالعربية عندما تتقدم أعمال وضع المصطلحات العلمية في المجامع اللغوية ، ولا سيما في مجمع مصر .

والثالث جعل العربية لغة التدريس في جميع العلوم العالية . وهذا الرأي السائد في سورية يحتاج على ما أرى الى مراعاة الأمور الآتية :

(١) اتقان تدريس لغة أجنبية كبيرة (كالفرنسية أو الانكليزية) في المدارس الثانوية .

(٢) تدريس تلك اللغة في كليات الجامعة أيضاً .

(٣) جلب أساتذة أجانب يلقون دروساً ومحاضرات عملية (لا نظرية) باللغة الأجنبية ، على ما كانت عليه الحال في كلية الطب بدمشق أيام الانتداب الفرنسي .

(٤) ذكر الأسماء العلمية أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الأسماء مشتركة بين اللغات الحية .

وبهذه الوسائل الأربع يستطيع التلميذ الذي يدرس الدروس بالعربية في كليات الجامعة ان يوسع بعدئذ معلوماته ويختص في معاهد الاختصاص بالديار الغربية .

وبعد فنحن العرب لا نستطيع التخلي عن لغتنا ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير . ونحن جاهدون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، لنتمكن من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية . وأعتقد أننا سنبلغ هذه الغاية .

مصطفى الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قصة جزيرة قوصرة العربية

— ١ —

موقع قوصرة :

في الضفة الغربية من البحر المتوسط جزائر متعددة ، منها الكبيرة التي تجاوز مساحتها رقعة البلاد الافريقية ، ومنها الصغيرة التي لا يبلغ شأنها أحد الأعمال التونسية ، وما من هذه الجزائر بين كبيرة وصغيرة — الا وقد عرفه العرب وفتحوه بأساطيلهم مدة انتشار سلطانهم ، وملكوه زماناً طويلا ، ونقلوا اليه وسائل حضاراتهم وأسباب تمدنهم ، زيادة على نصبهم طوائف من العرب وأجناساً من البربر في أراضيه .

ومن هـذه الجزائر (سردانية) و (كرسكة) والجزائر الشرقية للأندلس (ميورقة ومنورقة ويابسة) التي وقع فتحها كلها على يد مسلمي المغرب ، سواء من اسبانيا أو من إفريقية التونسية .

ومنها (صقلية) جزيرة البحر المتوسط العظمى — واتساعها ثلاثة أضعاف الديار الافريقية — وقد قيض الله الأغالبة أمراء القيروان فامتلكوها ، بعد غزوات وحروب عنيفة شغلت أبناء افريقية طوال القرن الثالث للهجرة ، ثم ألحقوها بملكهم المتسع العتيد ، فكانت من أعماله .

ومن صغار الجزر (مالطة) وتوابعها ، تلك التي رسخت قدم العربية فيها وتغلغلت في عروقها الروح الشرقية ، فلم تكن لتتركها الى اليوم .

وهناك جزيرة صغيرة أخرى تجاور الأرض التونسية ، وتسامتها من الشمال الشرقي ، وتنظر دوماً اليها ؛ وقد حافظت على كثير من الآثار التي ورثها الحفدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن الأجداد ، وتعني بها هذه الجزيرة الصغيرة المشهورة اليوم باسم بنطلارية [١] .

هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين صقلية وافريقية ، وتبلغ جملة مساحتها نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً ، ولا يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف نسمة . وبعبارة أخرى هي بمثابة احدى المدائن المتوسطة من البلاد التونسية — مثل المهدية أو نابل — ولها مرسى مأمون اتخذته الحكومة الايطالية في هذا الوقت القريب مركزاً أساسياً للطيران الحربي .

تعريف القدماء :

وقبل الاحاطة بما بقي في قوصرة من الآثار والتقاليد يجدر أن نشير الى ما عرفها به الجغرافيون العرب ، وما قال عنها أصحاب تقاويم البلدان .

فهذا الشريف الادريسي — صاحب الملك رجار — يكتب عنها في القرن السادس من الهجرة [٢] : « وجزيرة قوصرة توازي حصن أقليبية من أرض

---

(١) قوصرة (Cossyra) اسم يوناني ، ومعناه السلة أو السفط او الزنبيل ، وكان هذا الاسم أطلق عليها للمشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الآداة . ومن غريب الاتفاق أن كلمة قوصرة في اللغة العربية لها هذا المعنى بعينه ، قال الليث :

القوصرة — بالفتح ثم السكون والصاد المهملة — وعاء التمر ، وهي القفة والزنبيل وما جاء على شكلها ، وأنثيتها ابن القطاع الصقلي فقال بالألف : قوصرا . (راجع معجم البلدان : ياقوت ١٨٣/٧) .

وأنشدوا لعلي بن ابي طالب :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

فالقوصرة هنا إناء يجعل فيه التمر . (راجع الاقتضاب لابن السيد وتحفة العروس للتجاني ، ص ١٥٤) .

ومما يزيد الأمر غرابة أن بنطلارية (Pantellaria) وهو الاسم الذي أطلقه الاسبان عليها فيما بعد معناه أيضاً الحصنة والقرطلة ، فالمعنى واحد في مختلف اللغات .

وهناك توجيه آخر ربما كان أقرب للواقع ، وهو اشتقاق هذا الاسم من اللغة الفينيقية التي كانت شائعة قديماً في شمال افريقية وجزائر البحر المتوسط ، وهو (قيصرة) تصغير قصرة ، والمعنى واحد في الفينيقية وأختها العربية .

(٢) كتاب نزهة المشتاق للادريسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

افريقية ، وتوازي بين مدينة الشافية (Sciacca) ومازرة (Mazzara) من صقلية ، وبينهما مجرى ، وهي جزيرة خصيبة فيها آبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها معز كثير برية متوحشة ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح » .

ويقول ياقوت الحموي [١] : « هي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقلية ، فتحها المسلمون في أيام معاوية ، وبقيت بأيديهم ثم خرجت ، وقيل ان في أيامنا هذه — يعني القرن السابع — فيها قوم من الخوارج الوهبية » .

ويصفها ابن سعيد الغرناطي — المتوفى بتونس سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) — بقوله [٢] : « جزيرة قوصرة التي يجلب منها شريحة التين والقطران ، وهو يلتقط من شجر الصرو ، وبها المصطكى وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية ، وهي شرقي (الحمامات) على ساحل مدينة سوسة ، ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية » .

وأورد ذكرها الملك المؤيد أبو الفداء — المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) — في تقويم البلدان ، فقال : « وجزيرة قوصرة قبالة افريقية بالقرب من تونس ، وبينها وبين صقلية مجرى ، ويوجد بها شجر المصطكى . ويجلب منها (الى افريقية التونسية) التين والقطن الكثير » .

وسنتكلم عن قطنها فيما يلي .

وفي « المسالك » لابن فضل الله العمري [٣] — من القرن الثامن للهجرة — : « وجزيرة قوصرة المقاربة لتونس ، وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لهم ، ومثل هؤلاء المسلمين — اذا كانوا تحت أيدي الفرنج — يعرفون في بلاد المغرب باسم (المدجنين) » . وسنعود الى تفسير هذا اللفظ .

هذه خلاصة ما قاله جغرافيو العرب عن قوصرة .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة مصر) ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٢) كتاب « بسط الارض في طولها والعرض » لنور الدين علي بن سعيد ، نقلاً عن مجموعة أماري ص ١٣٤ .

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — لابن فضل الله — خط بمكتبة جامع الزيتونة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفتح العربي :

واذا ما أردنا البحث عن تاريخ استيلاء المسلمين عليها يتلخص لنا :

أن انتصاب غزاة العرب بافريقية ، وامتلاكهم قرطاجنة — أم البلاد وعاصمتها الكبرى — من يد الروم البيزنطيين ، في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة (آخر السابع للميلاد) ، دعاهم بحكم الضرورة القاهرة الى توجيه أنظارهم الى غزو الجزائر المتوسطة في البحر بين العدوتين الافريقية والأوربية .

وقد حملهم على ذلك أمران : الأول — وجوب التوقي من هجمات الروم البيزنطيين ، ودفع غائلتهم عن التراب الذي امتلكه الاسلام ، ثم اتخاذ الوسائل لبسط نفوذهم على ما وراء البحر المتوسط من البلاد . الأمر الثاني — التفكير في مد سلطانهم على المراكز الحائلة بين سلطنتهم والبر الكبير ، وقد كانت هنالك نقط مقاومة لعدوهم ، لذلك ترى أن اول ما شرع فيه الولاة الأمويون — بعد الاستيلاء على افريقية — هو انشاء دار صناعة بحرية — وهي الأولى من نوعها — في الاسلام . ولم يكن اختيارهم مكان قرطاجنة لهذا الانشاء من باب المصادفة ، وانما كان عن تدبير حكيم وخبرة سياسية بما ينجز للعرب الغرض الذي قصدوه والغاية التي طمحت اليها نفوسهم .

أسس حسان بن النعمان الغساني — حدود سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) دار صناعة لانشاء السفن ، وجلب اليها العدة المناسبة ، وأقر حولها ألف قبطي بعيالهم ، نقلهم من مصر ، كل ذلك بموافقة الخلافة الأموية وتدبير ساستها الأفذاذ .

ومن ذلك الحين شرعت الأساطيل الافريقية في خوض عباب البحر المتوسط ، والتعرف بساحاته ، والتحكك بساكني سواحله من الافرنج ، بغزوات متوالية وغارات متتابعة أدت في النهاية الى نصب سلطان الاسلام على كثير من المراكز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العرب والبحر :

ويناسب في هذا المقام أن نورد هنا فكرة العلامة ابن خلدون في أسباب تفوق العرب في البحر ، وما كان لذلك من الشأن ، قال [١] :

« وكان المسلمون لعهد الدولة العربية قد غلبوا على هذا البحر (يعني : البحر المتوسط) من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية ، وقوصرة ومالطة وافريطش وقبرص ، وسائر ممالك الروم ، والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الأكثر من لجة هذا البحر ، وصارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة ، والعساكر الاسلامية تجيز البحر في أساطيلهم من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم ... وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدوها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد بفريسته » .

وأول من غزا قوصرة — وما جاورها من الجزائر — هو القائد المغوار عبد الملك ابن قطن الفهري ، في ولاية موسى بن نصير لافريقية — سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ؛ وكان خروج الأسطول اليها من دار صناعة تونس . ثم غزاها حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، في مدة ابن الحبحاب — في حدود سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) .

وفي اعتقادنا أن استيلاء المسلمين النهائي على هذه الجزيرة كان في حوالي سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) ، على يد الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، حفيد

(١) المقدمة لابن خلدون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عقبة بن نافع ، رضي الله عنهم أجمعين . وقد كان عبد الرحمن هذا استقل بأمر افريقية والمغرب ، في آخر الدولة الأموية بالمشرق ، وتزوج هو واخوته بأميرات من بني أمية لجأن الى القيروان عند سقوط آل بيتهن ، فيكون فتح قوصرة قد وقع ثلاثة أرباع القرن قبل حملة الأغالبة على صقلية .

ثم كان امتلاك بني الأغلب لجزيرة صقلية — سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) ، بقيادة أسد بن الفرات ، وقد اتخذوا قوصرة مدة حملتهم محطاً وسطاً لأساطيلهم في الغدو والرواح ، ونصبوا بها مركزاً معتبراً لحمام الرسائل في المخابرة السريعة .

العمران العربي :

وقد أفادت قوصرة الجيش الفاتح بموقعها الوسط افادة عظيمة ، إذ أنها ساعدت الافريقيين على الاحتماء بقلعتها والتحصن برفئها المنيع . ونظراً لحصانة هذا الموقع الحربي عُني بنو الأغلب بقوصرة عناية خاصة ، وفكروا في تعميرها لقلة ساكنيها وقتئذ ، اذ كانت غير آهلة ، فجعلوا ينقلون اليها من نصارى صقلية الداخلين تحت ذمتهم الثلة بعد الثلة ، بواسطة سفائنهم الشراعية ، ونصبوهم بها ، ووزعوا عليهم من سهول أراضيها الخصبة ما يكفي حاجتهم الزراعية .

وانتقل الى سكناها بعد ذلك بشرٌ من فلاحي الساحل التونسي ، من عرب وأفارقة ، ونزلوا بها مجاورين للنصارى الايطاليين النازلين فيها . فلم يمض زمان بعيد حتى أصبحت قوصرة تضم بين جوانبها عدداً كبيراً من نصارى الذمة والأفارقة المسلمين ، وقد فعل الدهر فيهم فأدمجهم في البوتقة الاسلامية ، فأضحوا بعد حين كتلةً واحدةً متحليةً بالأخلاق العربية ، لا تعرف غير الضاد لغة .

وبذلك يتضح بعد مرمى الأمراء من بني الأغلب ، ومهارتهم في أساليب السياسة ، وخبرتهم التامة بنواميس العمران وقواعد الاجتماع .

حقاً انه لمنهج جديد فتحه الأغالبة في نظرية الاستعمار المفيد ، ولا إخال دولة سبقتهم الى سياسة اشراك العناصر المختلفة في تعمير الأرض واحيائها ، من غير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التفات الى جنس أو تحيز الى معتقد ، لا سيما وأنا نعلم علم اليقين أن الأغالبة هم الذين أدخلوا الى صقلية ومالطة — وخصوصاً الى قوصرة — أسباباً من الفلاحة الملائمة لتربتها الجبلية . فمن ذلك زراعة القطن التي انتشرت في عهدهم ، ولم تكن معروفة من قبل ، وظلت في نمو الى اليوم ؛ وقد أشار الى ذلك ابو الفداء فيما تقدم ، وكان القطن وقتئذ من أهم غلات البلاد الافريقية ، أدخله اليها العرب بعد الفتح ، وانبث زرعه في ناحية الواحات — قابس وبلاد الجريد — ، فوفقت الادارة الأغلبية الى نقل زراعته الى ممتلكاتهم كما مر .

وما زالت قوصرة تنتفع بزراعة القطن الى اليوم ، محافظة على الأسماء العربية العتيقة في صنعه وآلات نسجه ، كقولهم مثلاً : محلوج (Malugiu) ويقصدون به القطن المندوف قبل غزله ، وقولهم : ردّانة (Ruddana) وهي آلة صغيرة من خشب تدار باليد ويغزل بواسطتها القطن ، وهي آلة معروفة ؛ غير أنهم يضمون الراء من الكلمة وهي مفتوحة في العربية .

ولا مراء في أن قوصرة أضحت من لدن العصر الأغلبي مستعمرة ذات صبغة عربية زاهرة ، اتخذت فيها السلطة القيروانية مركزاً حربياً ، وفيه محطة لحمام الرسائل الذي تستعمله الدولة في المخابرات السريعة بتحميله البريد المستعجل تحت أجنحته ، يغدو ويروح بين البر الافريقي والأساطيل ؛ واستمرت الحال على ذلك سائر مدة الدولة العبيدية الوارثة للأغالبة . وقد نشطت هجرة الافارقة الى قوصرة ، فقصدوها زرافات ووحداناً ، لا سيما أبناء الخوارج من البربر الذين اضطهدتهم الدعوة الفاطمية الشيعية فاضطروا للالتجاء الى الجهات القاصية .

تقلص السلطة السياسية :

ثم ظهرت قوة النورمان في البحر المتوسط — منتصف القرن الخامس (الحادي عشر م) ، وقد زحزحت بالتدريج السلطة العربية من صقلية وبقية الجزائر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند اخفاق دولة بني زيري الصنهاجيين في افريقيـة وما والاها ، بسبب زحفة بني هلال وبني سليم على البلاد ، وقضائهم على التمدن الافريقي . وعبثاً حاول المعز ابن باديس استرجاع صقلية وتوابعها ، وقد جهز أسطولاً ضخماً شحنه بالعدة والعدد نجدة لمن بصقلية من المسلمين — سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٣ م) . وكان الوقت شتاء ، فلما كان الأسطول بحذاء قوصرة هاجت عواصف البحر ، فغرق أكثره ، ولم ينج منه الى الساحل الافريقي الا القليل .

وانضوت سائر الجزائر التي كانت للمسلمين في تلك النواحي الى مملكة (رجار) كبير النورمان — سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، وقد أسس بصقلية ملكاً قوياً ، تولاه هو وبنوه من بعده ، والملك لله وحده .

وكان من سياسة النورمان أن أمنوا المسلمين في النفس والمال ، وأقروهم بمنازلهم ، واحترموا معتقدهم فلم يسوهم بسوء ، بل استمالوهم بالعدل ، وقربوا علماءهم فدونوا لهم المصنفات الجليلة ، واستنشدوا شعراءهم ، فمدحوهم ببديع الأشعار ، وبالجملة اتخذ النورمان من المسلمين البطانة والحرس والعشير ، تشهد بذلك رحلة ابن جبير الوزير الأندلسي .

وبتلك السياسة طمحت نفس ملك صقلية النورماني الى الاستيلاء على الساحل التونسي ، فجهز الجمط رجار (Comte Roger) جيشاً عرمرماً شحنه في أساطيله ، وقصد به المهدية — عاصمة افريقية — على عهد آخر ملوك صنهاجة — ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) ونزل الصقليون في مكان الديماس — حدود قرية البقالطة الآن — ، والتقى بالجند الصنهاجي وما انضم اليه من المتطوعة ، وبعد مقاتلة عنيفة كانت الدائرة على جيوش النصارى ، وتفللت صفوفه .

وفي هذا الانهزام يقول شاعر صقلية الفحل عبد الجبار بن حمديس من قصيدة عصماء ، يمدح بها آخر ملوك صنهاجة الحسن بن علي ، ومطلع القصيدة[1] :

(١) راجع ديوان ابن حمديس ، طبعة روسية سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبى الله إلا أن يكون لك النصر وأن يهدم الايمان ما شاده الكفر

ومنها :

فما للعلوج امتدّ في الغيّ جهلهم أما كان فيهم من لبيب له حجر
فكم قسموا في الظن أميال أرضنا ولم يطئوا منها مكاناً هو الشبر

ومنها :

أما فتحت منهم بلاداً بلادنا فنزعهم كفراً على إثره كفر
وكانت مفاتيح البلاد سيوفنا وأقفالها اذ فتحهن له عسر
ألم يسب جيش الغزو منهم نواعماً فمن ثيب تقتاد في إثرها بكر

ومنها ، وقد ذكر انه كان يوجد بجزيرة قوصرة صرح مؤلف من رؤوس قتلى الحرب :

وقوصرة فيها رؤوس جدودهم الى اليوم ملآن بأفلاقها العفر
فلو تسأل الريح المعاطيس منهم لأخبرها عن كل شلو بها ذفر

ومنها ، وقد أشار الى استيلاء النورمان على صقلية وقوصرة :

وما قتلوا من شدة البأس أهلها ولكنهم قلّ أحاط بهم كثر
أتعجم نبع العرب عجم ولا يرى لما اشتد منها في نواجذها كسر
توالت عليها منهم كل صيحة كما روع الأعيار من أسد زأر

وهي قصيدة طويلة كلها عيون .

وبعد وقعة الدمياس جدد القمط رجار كبير النورمان حملته على المهدية فامتلكها هي والساحل التونسي — سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ، وتشرد الحسن بن علي آخر الصنهاجيين الى المغرب ، في خبر طويل مبسوط في التاريخ التونسي ، وكان ذلك آخر عهد للسلطان الاسلامي بجزائر البحر .

أما صقلية ومالطة وقوصرة وما سواها فقد دامت بيد النورمان الى أن خلفهم عليها رؤساء الافرنج من الجرمان ، وما كادوا يبسطون نفوذهم على تلك الأصقاع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى تغيروا على بقايا المسلمين المدجنين المقيمين تحت ذمتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وأنزلوهم منزلة الذل والهوان ، وألحقوا بهم ألواناً من القساوة والاضطهاد .

أنتجت سياسة الارهاق التي سلكها الجرمان من أسرة هوهنشطوفن (Hohenstaufen) ، وبعدهم الافرنج من سلالة آنجو (Anjou) أن هاجر جماهير من مسلمي صقلية والجزائر الأخرى الى افريقية التونسية ، لاجئين اليها بحشاشة أنفسهم ودينهم ، فرحب بمقدمهم ولاة الموحدين والأمراء الحفصيون وفسحوا لهم المجال . فانخرط بعضهم في الجيش الافريقي لما كانوا يحسنون من فنون الحرب ، واتجه قسم كبير منهم الى فلح الأرض واحياء الموات ، واشتغل أهل المعرفة منهم بتدريس العلوم . ومن بين هذا الصنف الأخير (آل الصقلي) الأشراف الادريسيون ، فانهم استقلوا بصناعة الطب في الحاضرة التونسية ، وتداولوا عليها خلفاً عن سلف ، ونالوا من الشهرة الكبيرة ما هو معلوم . ولا يبعد ان يكون أفراد هذا البيت الصقلي من ذرية الشريف الصقلي ، صاحب الملك رجار ومدون الكتب النادرة له .

وبطبيعة الأمر فان هؤلاء المهاجرين ، انما كانوا من طبقة السراة والمياسير ، أما لفيف القوم والرعاع — وهم القسم الأوفر — ، فقد اضطروا للبقاء في أوطانهم عرضة للظلم والعذاب .

قوصرة وبنو حفص :

ولطالما تدخل أمراء الدولة الحفصية لأول أمرهم في شؤون تلك الجزائر ، وهددوا الطغاة من ملوك الافرنج بالانتقام ان لم يرتدعوا عن سيرهم الغاشم ، ويرعوا حقوق من بطرفهم من ضعفاء المدجنين ، وآخر الأمر استقرت الحال على عقد معاهدة صلح ومهادنة بين المولى أبي زكرياء الأكبر أول مالك من بني حفص وفريدريق الثاني (Frederick II) ، امبراطور الدولة الرومانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المقدسة وملك صقلية ، بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة من سنة ٦٢٨ هـ (٢٠ ابريل ٢٣١ م) ، لمدة عشر سنين . وبمقتضى هذه المعاهدة وقع الاعتراف من لدن الدولة الحفصية باستيلاء فريدريق على جزيرة قوصرة (بنطلارية) ، لكن بشرط رجوع نصف محصول ضرائبها الى الحكومة التونسية تتقاضى ذلك في كل عام . وقد نص هذا الصلح على وجوب احترام المسلمين المقيمين بمملكة فريدريق في عقائدهم الدينية ، واستقلالهم بأحكامهم الشرعية والعرفية [1] .

دام العمل بنص المعاهدة المتقدمة ما دام الأمير أبو زكرياء الأول في قيد الحياة ، وكانت له أياد بيض في موالاة من بقي من مستضعفي المسلمين بجزائر البحر ، وعناية مشكورة بشؤونهم ورقة لحالهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من مرشدين ووعاظ . فلما قضى ابو زكرياء نحبه تنكب الافرنج عن المدجنين ، وصوبوا نحوهم أنواعاً من المكر والخداع . قال ابن خلدون [2] :

« ولما بلغ الخبر بهلك الأمير أبي زكرياء — ٢٣ جمادى الآخرة ٦٤٧ هـ (٤ اكتوبر ١٢٤٩ م) — الى صقلية ، وكان المسلمون بها في مدينة (بلرم) قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشراك في البلاد والضاحية ، فتماكنوا ، حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر النصارى العيث فيهم . فلجأوا الى الحصون والأوعار ، ونصبوا عليهم ثائراً من بني عبس . وحاصرهم طاغية صقلية بمعقلهم في الجبل ، وأحاط بهم حتى استنزلهم ، وأجازهم البحر الى عدوته ، وأنزلهم لوجارة (Lucera) من عمائرها ، ثم تعدى الى جزيرة مالطة وقوصرة ، فأخرج المسلمين الذين كانوا بهما ، وألحقهم باخوتهم ، واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها ، ومحا منها كلمة الاسلام بكلمة كفره ، والله غالب على أمره » .

(يتبع) حسن حسني عبد الوهاب

(١) راجع نص المعاهدة في كتاب Traités de paix et de Commerce تأليف Mas Latrie ص ٨٢ ، ١٢٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ، طبعة الجزائر ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

— ١ —

تاريخ سفره — الطريق التي سار فيها :

من الموضوعات التي لم يتفق فيها مؤرخو الفتوح الطريق التي سار فيها خالد في سفره من العراق الى الشام ، وكذلك وقت سفره .

وفي رواية للمدائني [١] ان خالداً شخص في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، وأيد البلاذري هذه الرواية ولعله أخذها من المدائني على عادته . وما عدا هذه الرواية فلم يذكر الاخباريون القدماء ولا المؤرخون من بعدهم التاريخ الذي ترك فيه خالد العراق وذهب الى الشام ملبياً أمر الخليفة ابي بكر .

وكذلك اختلف المؤرخون في ذكر الحوادث التي سبقت سفر خالد وما وقع له في سفره . وقد خلطوا بعض فتوحات خالد في العراق قبل سفره بوقائع زعموا أنها وقعت في طريقه الى الشام ، كما ان بعضهم قدم تاريخ فتوحات خالد في الشام وزعم أنها جرت قبل فتح بُصرى . وعلى الرغم من كثرة الأخبار واسهاب الاخباريين في شرح الحوادث فان الباحث لا يظفر في بحثه بما يشفي غليله . ومن الروايات ما جعلت خالداً في سفرته تلك يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فيسير غرباً ثم يغير اتجاهه فيسير شرقاً ، ثم يعود فيعرج الى الجنوبي الغربي . وفي بعض الروايات ان خالداً قطع البادية بطريق يبلغ ستمائة كيلو متر وأكثر ، ليس فيه مياه الا في محلات محدودة .

---

(١) الطبري ، الجزء (٢) ص (٦٠١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما المفازة التي قيل ان خالداً فوّز منها فلم يثبت الرواة مبدأها ومنتهاها ، واكتفوا بالقول انها بين (قُراقر وسُوى) ؛ ولم يذكروا بالضبط أين يقع هذان المحلان . وكانت كتب البلدان ومعاجمها خالية من الايضاح واكتفت بالقول ان قراقر ماء للقبيلة الفلانية وسُوى ماء لقبيلة أخرى .

وقد حاول الباحثون من علماء المشرقيات ان يميطوا اللثام عن هذا الغموض ولكنهم لم يتوصلوا الى ما يطمئن اليه البال ، واكتفى بعضهم بنقل الروايات كما جاءت وترجيح بعضها على البعض الآخر ، فظل موقعا قراقر وسوى مجهولين لديهم الى ان ثبت الرحالة الشكوسلوفاكي (لويس موسيل) محلها على الخريطة التي رسمها في رحلاته العديدة قبل الحرب العامة الأولى وفي أثنائها في شمالي جزيرة العرب . والغريب ان (كايتاني) المستشرق الايطالي صاحب الباع في تاريخ الاسلام جعل موقع سوى على الفرات وزعم ان المفازة التي أشار اليها المؤرخون الأقدمون واقعة بين الفرات ومدينة الرصافة في الجزيرة وذكر في بحثه المطول ان خالداً سلك طريق الفرات من الحيرة الى الرصافة ومنها توجه الى الشام بطريق تدمر .

وكذلك (دي خويه) المستعرب الهولندي وهو أحسن من كتب في فتح الشام ذكر في مذكرته عن فتوح الشام ان خالداً سلك طريق تدمر في سفرته الى الشام . وسيتضح لنا من ذكر الروايات المختلفة الباحثة في سفر خالد ومقارنتها وتنقيح ما ورد فيها من خلط للوقائع ، انه لا يعقل ان يختار خالد تلك الطريق الطويلة ويعرض نفسه للمسالح التي أقامها الروم للدفاع عن أملاكهم من غزوات العرب وكان أهلها من العرب المتنصرة يحمونها . ولا سيما ان بعض الروايات أكدت ان ابا بكر أرسل خالداً نجدةً لجند المسلمين في الشام وحثه على السير بسرعة .

ونذكر الآن الروايات الواردة في هذا الصدد وسنقدم الأقدم فالأقدم منها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — رواية موسى بن عقبة [١] :

« كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وكان قد فرغ من أمر اليمامة يأمره بالمسير الى الشام . فمضى على وجهه وسلك على عين التمر ، فمر بدومة الجندل ، فأغار عليها وسبى ابنة الجودري ثم مضى حتى قدم الشام » .

٢ — رواية ابن اسحق وقد ذكرها الطبري في حوادث سنة ثلاث عشرة هجرية [٢] :

« كتب ابو بكر الى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ..... ونزل في طريقه على عين التمر وفتحها ... »

وقال : « ثم أراد خالد السير مفوزاً من قراقر وهو ماء لكلب الى سوى وهو ماء لبهراء ، بينهما خمس ليال ، فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً ، فدُل على رافع ابن عميرة الطائي ، فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرراً ، انها لخمس ليال جياد ، لا يصاب فيها ماء مع مظلمتها ، فقال له خالد : ويحك انه والله ان لي بد من ذلك ، انه قد أتتني من الأمير عزمه بذلك ... »

ثم شرح الطبري رواية بن اسحق ذاكراً كيف أشار رافع لخالد ان يستكثر من الماء وكيف طلب عشرين جزوراً [٣] عظاماً ، سماناً ، مساناً وكيف انه ظمأهن حتى اذا أجهدت عطشاً أوردهن ، ثم قطع مشافرهن وكممهن [٤] ، فسار خالد على رأس قوته ، فكلما نزل منزلاً افتظ [٥] أربعاً من الجزور والنوق ، فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل الى ان وصلت القوة الى آخر المفازة في سوى ، فدلها رافع على الماء وذكر ما قاله شاعر المسلمين بهذه المناسبة :

---

(١) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٤١) .
(٢) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٨ : ٦١٠) .
(٣) الجزور : ما يجزر من النوق .
(٤) كمم : شد فم البعير لئلا يأكل .
(٥) افتظ : شق بطن البعير وعصر ماء كرشه وشربه في للفاوز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لله عينا رافع أنى اهتدت فوز من قُراقر الى سُوَى
خمساً اذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك إنسيٌ يُرَى

ثم ذكر اغارة خالد على أهل سوى وهم من بهراء ، ثم سار خالد على وجهه حتى أغار على بني غسان بمرج راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ....»

٣ — رواية سيف بن عمر [١] :

«فوافى خالداً كتابُ ابي بكر بالحيرة ، منصرفه من حجه أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك» . وبعد ماذكر سيف توافي جموع المسلمين باليرموك ونزولهم في (الواقوصة) قال :

«وأمر أبو بكر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فاذا فتح الله على المسلمين فارجع الى عملك بالعراق ..» ثم قال : «ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً الى دومة الجندل ، ثم ظعن في البر الى قراقر ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان أستقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ؛ فكلهم قال لا نعرف الا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ الراكب ، فاياك ان تغرّر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه الى ذلك الا رافع بن عميرة على تهيب شديد ..»

ثم ذكر سيف قيام خالد بالمسلمين خطيباً وشحذه لهمتهم حتى وافقوه على المسير . وبعد ماذكر رواية محمد بن اسحق عن انتقاء الابل الشرف وارواثها وكعمها ... قال : «ثم ركبوا من قراقر مفوزين الى سوى وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام . فلما ساروا يوماً اقتضوا لكل نجدة من الخيل عشراً من تلك الابل ، فخرجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام ..» .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٢ : ٦٠٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذكر سيف بعد ذلك رواية مُحرز بن جَريشي المحاربي اذ قال خالد اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه نُفْضِ الى سوى .

ثم ذكر عثور المسلمين على الماء في سوى واغارة خالد من سوى على مضيخ بهراء ... وانهم لفارون وان رفقه لتشرب حتى وجه الصبح وساقيهم يغنيهم ويقول :

الا صباحاني قبل جيش ابي بكر

فضربت عنقه ، فاختلط دمه بخمره .. حتى قال : « ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتساخه وغارته على مضيخ بهراء وانتساخها فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك صمد لهم ، فخرج من سوى فنزل الرمانتين ، علمين على الطريق ، ثم نزل الكثب . حتى صار الى دمشق ثم مرج الصفر ، فلقي عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ؛ ثم خرج من المرج حتى ينزل بقناة بصرى ... » .

٤ -- رواية ابي يوسف بن يعقوب [1] .

نقل ابو يوسف روايته من محمد بن اسحق وغيره من أهل العلم بالفتوح والسيرة وبعضهم يزيد في الحديث على بعض . وبعد ان ذكر قدوم خالد من اليمامة وفتحه للعراق قال : « وكان خالد أراد أن يتخذ الحيرة داراً يقيم بها ، فأتاه كتاب أبي بكر يأمره بالمسير الى الشام مدداً لأبي عبيدة ، فتوجه من الحيرة مع الأدلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفاوز .. » ويشير بعد ذلك الى ان خالداً بعد قطعه المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى (النُقَيْب والكوائل) ، ثم مر بعانات حتى أتى الى قرقيسيا . ثم قال : « وسبى خالد في مخرجه من الحيرة الى ان انتهى الى دمشق ألف رأس وقالوا خمسة آلاف ... » .

(١) كتاب الخراج ص (١٦٩) وبعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — رواية الهيثم بن عدي كما ذكرها ابن قتيبة [١] :

قال ابن قتيبة : «حدثني أبي احسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب ابو بكر الى خالد بأمره بالمسير الى الشام واليا مكان ابي عبيدة ، أخذ على السماوة حتى انتهى الى قُراقر وبين قُراقر وسُوى خمس ليال في مفازة ، فلم يعرف الطريق ، فدُل على رافع بن عميرة الطائي وكان دليلاً خريتاً [٢] فقال لخالد خلف الأثقال واسلك هذه المفازة ان كنت فاعلاً ، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال لا بد من أن نكون جميعاً» . ثم ذكر الهيثم رواية ابن اسحق وقال في آخر الرواية ان خالداً لما مر بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جفنة واحدهم يتغنى :

الا عللاني . . . . . .

ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب .

٦ — رواية الواقدي كما ذكرها البلاذري [٣] :

«وقال الواقدي خرج خالد من سُوى الى الكواثل ، ثم أتى قرقيسيا ، فخرج اليه صاحبها في خلقٍ فتركه وأغار الى البر ومضى لوجهه ، وأتى (أرَك) فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً . وأتى (دومة الجندل) ففتحها ، ثم أتى (قُصم) فصالحه بنو مشجعة ، ثم أتى (تدمر) فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان . . . ثم أتى (القريتين) فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى (حُوّارين) من (صنير) فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى وهي مدينة حوران فظفر بهم ، فسبى وقتل ثم أتى (مرج راهط) فأغار على غسان في يوم فصحهم . . ووجه خالد بن بسر بن

(١) عيون الأخبار ، الجزء الأول ص (١٤٢) .
(٢) الخريت : الدليل الحاذق الذي يهتدي الى المفاوز .
(٣) فتوح البلدان ص (١١٩) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابي أرطأة العامري وحبيب بن مسلمة الفهري الى غوطة دمشق ؛ فأغار على قرى من قراها وصار خالد الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب ... » وبعد أن ذكر نزول خالد بالباب الشرقي من دمشق أو بباب الجابية وتقديم أسقف دمشق له نزلاً وخدمةً قال ... « ثم سار خالد حتى انتهى الى المسلمين وهم بقناة بصرى .. »

٧ — رواية المدائني كما ذكرها الطبري [١] :

« فوجه ابو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء بالشام ، ضمهم اليه فشخص اليه خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في خمسمائة . واستخلف على عمله المثنى بن حارثة ، فلقيه عدد بصندوداء ، فظفر بهم ... ولقي جمعاً (بالمُصَيَّخ والحُصَيِّد) عليهم ربيعة بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم وسار ففوز من فُراقر الى سُوى ، فأغار على أهل سُوى واكتسح أموالهم . وقتل حرقوص بن النعمان البهرائي ثم أتى أرك وأتى تدمر فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم الى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حُوّارين فقاتلهم ، فهزمهم وقتل وسبى . وأتى مُصَمّ فصالحه بنو مشجعة من قضاعة . وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحيم . . »

٨ — ما ذكره البلاذري [٢] :

ولعل الرواية رواية المدائني نفسها ، قال البلاذري :

« وقالوا : لما أتى خالدَ بن الوليد كتابُ أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثنى ابن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة . وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في ستمائة ويقال في خمسمائة ، وأتى عين التمر ففتحها عنوةً . ويقال ان كتاب ابي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها فسار خالد

(١) الطبري . الجزء الثاني ص (٦٠١) .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص (١١٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عين التمر فأتى صَنْدوداء وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتله أهلها . وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُصيخ والحُصيد مرتدون عليهم ربيعة بن بجير فأتاهم ، فقاتلوه ، فهزمهم ..... ثم أغار خالد على قُراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوّز الى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً وفيه قوم من بهراء . فقتل حرقوص بن النعمان البهرائي من قضاعة واكتسح أموالهم ... » . ثم ذكر كيف عمد خالد الى الرواحل فأرواها قبل ركوبه المفازة وكيف قطع مشافرها لئلا تجتر ، فتعطش ثم استكثر من الماء . وحمله معه وجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها .... الى أن قال وكان المسلمون لما انتهوا الى سُوى وجدوا حرقوصاً وجماعة يشربون ويتفننون وحرقوص يقول : ألا عللاني .....

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجفنة التي كان فيها شرابه .. وقال بعض الرواة ان المغني بهذا البيت رجل ممن كان أغار عليه من بني تغلب مع ربيعة بن بجير .. »

٩ — ما ذكره اليعقوبي [1] :

قال اليعقوبي « ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد من أهل القوة ممن كان معه وتخلف المثنى بن حارثة مع بقية الجيش بالعراق . وسار خالد الى الشام فلما صار الى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن ابي هلال النمري ، فتحصنوا ثم نزلوا على حكمه ، ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران .... وصار الى الأنبار ، فأخذ دليلاً يدله على طريق المفازة ، فمر بتدمر فتحصن أهلها ، فأحاط بهم ففتحوا له وصالحهم . ثم مضى الى حوران (حوارين) فقاتلهم قتالاً شديداً .

(١) تاريخ اليعقوبي ص (١١٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقيل ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافى المسلمين فافتتحوا بصرى واجنادين » . ثم قال : « وروى بمضهم ان خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ، ثم فرعنها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب ، فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة بصرى » .

١٠ — ماذكره ابن عساكر في تاريخه من الروايات[1] :

آ — رواية مصعب بن عبد الله : « لما سار خالد يريد دومة الجندل أخذ المفاوز واستأجر رافعاً واشترى خمسين شارفاً[2] فكبتها وأوجرها وسقاها عللاً ونهلاً ، فكلما نزل منزلاً نحر وجعل أكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع ..... الى آخر الرواية » .

ب — رواية اسحق بن فدوة : « ان خالداً ومن معه هبطوا ثنية الغوطة التي بقرب عذرا وهي مشهورة » .

ج — رواية ابن اسحق : « وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام ، فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل على قناة بصرى » . وفي رواية أخرى لابن اسحق : « خرج خالد من العراق حتى نزل عين التمر وأغار على أهلها ثم سار على نحو ما تقدم في رواية ابن اسحق التي أثبتناها قبلاً ... الى ان يشير في آخر الرواية انه لما نفذت الابل التي سقاها خالد وربط أفواهها خاف العطش فقال لرافع وهو أرمد ويحك ماعندك ، قال أدركت الري ، هل ترى علمين كأنهما توأمان . وذكر بعد ذلك كيف وجدوا الماء في سوى ثم قال : « واستقام بخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا أغار على مرج العذراء وبه أناس من غسان . »

د — رواية اللالطائي : قال « كتب ابو بكر لخالد أن ينصرف من العراق بثلاثة آلاف الى الشام ، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج الى (ضمير)

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٢٠) .
(٢) شرفت الناقة أي صارت مسنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الأعراب في مملكة الروم ففزعوا له »
ويقول ابن عساكر هذه رواية اللالطائي والبيهقي . وأضاف ابن عساكر قائلاً [١] :
« وكتب ابو بكر الى خالد أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ، ثم امض مخففاً في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين . وإن التقيتم فأنت أمير الجماعة » .

١١ — ما ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل [٢] :

« لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد يأمره بالمسير اليهم والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى ابن حارثة . . . . . الى ان قال : وقيل ان خالداً سار من العراق في ثمانمائة وقيل في خمسمائة وقيل في تسعة آلاف وقيل في خمسة آلاف ، ثم ذكر وقعة المُصيخ وقتاله فيه لجماعة من تغلب ، ثم أشار الى تفويز خالد من قراقر الى سوى كما رواها الطبري نقلاً عن سيف بن عمر وجعل مسير خالد بعد سوى على إرك وتدمر والقريتين وحُوارين وقصم وثنية العقاب ، الى ان ذكر اغارة خالد على غسان في يوم فصحهم في مرج راهط ووصوله الى بصرى وقال في الأخير ان خالداً طلع على المسلمين في ربيع الآخر .

١٢ — ما ذكره الذهبي في كتابة تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام [٣] :

وبعدما أورد الذهبي ما ذكره الطبري في تاريخه ذهاب خالد من العراق الى الحج متكتماً ومعاتبة أبي بكر له حينما علم ذلك ومعاقبته له بصرفه الى الشام ويأمره بنجدة المسلمين في اليرموك قال : « وقلت انما جاء الكتاب بأن يسير

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٣٨) .
(٢) تاريخ ابن الأثير ، الجزء الثاني ص (١٥٦) وما بعدها .
(٣) الذهبي ، الجزء الأول ص (٣٧٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة ..... ثم قال : « فسار خالد الى الشام فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل في قناة بصرى وقدم أبو عبيدة وصاحباه ، فصالحوا أهل بصرى فكانت أول ما فتح من مدائن الشام وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر » .

لم يشر الذهبي الى تفويز خالد من قُراقر الى سُوى انما ذكر ان خالداً سار الى مكة ومعه جماعة تعتسف البلاد ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل فسار طريقاً من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب .. » . يتضح من ذلك ان الذهبي خلط خبر تفويز خالد برحلته الى مكة حاجاً .

١٣ — ما ذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية [1] :

« وبعث الصحابة الى الصديق يستمدونه بعد نزولهم في الواقوصة ، قريباً من اليرموك ، فكتب الصديق الى خالد ان يستنيب على العراق وان يقفل بمن معه الى الشام ، فاذا وصل اليهم فهو الأمير عليهم ، فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السماوة حتى الى قُراقر وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد .... » ... الى ان قال : « ووصل في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وإرك ، ولما مروا بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق ثم سار حتى وصل الى قناة بصرى » .

١٤ — ما ذكره ابن خلدون في تاريخه المبتدأ والخبر [2] :

وبعد ان ذكر ابن خلدون خروج خالد من العراق حاجاً متكتماً وذهابه متعسفاً في البلاد وعودته الى الحيرة بعد الحج وعلم ابي بكر بحجة خالد ومعاقبته له أن صرفه من غزو العراق الى الشام ذكر في صفحة ٨٤ :

---

(١) ابن كثير ، الجزء السابع ص (٧) .

(٢) ابن خلدون ، الجزء الثاني ، ص (٧٨) وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير اليهم ، فنفذ خالد ذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً » .

١٥ – وأخيراً نذكر ما أورده الواقدي المزعوم في كتابه فتوح الشام وهو كتاب متأخر استند مؤلفه الى بعض روايات الواقدي واقتبس روايات أخرى وأضاف اليها من مخيلته وقائع مثيرة للحماسة ومستفزة للحمية ، فأخرج كتاباً حماسياً يقوي النفوس ويشحذ العزائم . وعلى الرغم من أن كتابه هذا لا يعتبر من الكتب التاريخية الوثيقة ، لكنه يتضمن بعض المعلومات الصحيحة ، لهذا لا بد لمن يدرس أخبار الفتوح من الرجوع الى هذا الكتاب .

قال الواقدي المزعوم[1] :

« وتوجه خالد بعد استلامه كتاب ابي بكر ، فلما وصل السماوة قال أيها الناس ، ان هذه الأرض لا تدخلونها الا بالماء الكثير . . . . . » ثم ذكر خبر رافع بن عميرة وارواء الابل وشق بطونها وضرب رافع على راحلته يميناً وشمالاً يبحث عن الماء وعثوره عليه . . . » وأخيراً قال : « انهم فتحوا السخنة وإركه رأس الامانة لمن يخرج من العراق والروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق . . . . . ثم ارتحل الى حوران . . . » .

أوردنا فيما سبق كل الروايات المتيسرة التي عرضت لسفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام . . ويظهر منها ان الروايات جميعها ، باستثناء رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ السفر . وهناك روايات تؤكد ان ابا بكر كتب الى خالد بعد عودته من الحج الى العراق يأمره بالمسير الى الشام ، وقال الذهبي انما جاء كتاب ابي بكر الى خالد بأن يسير الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة . وتكاد الروايات تجمع على أن أمر أبي بكر وافى خالداً بالحيرة .

(١) فتوح الشام ، للواقدي ، ص (١٤ : ١٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد اختلفت الروايات في الطريق التي سلكها خالد . فموسى بن عقبة وابن اسحق وسيف بن عمر والهيثم بن عدي يرون أن خالداً سار على طريق (عين التمر — قُراقر — سُوى — مرج راهط) . وأشار موسى بن عقبة وسيف بن عمر الى أن خالداً مرَّ في طريقه بدومة الجندل ، أما الهيثم بن عدي فذكر أن خالداً سار من السماوة الى قُراقر . وذكر مصعب بن عبد الله دومة الجندل والمفاوز فقط وقد أيد البلاذري هذه الروايات . أما ابو يوسف والواقدي والمدائني واليعقوبي وابن كثير وابن الأثير فذكروا طريقاً آخر . ومن الروايات ما جعلت خالداً يغزو في طريقه بعض الجموع من أهل البادية من تغلب وكلب وبهراء وغيرهم في أماكن متباعدة ، اعترضت طريقه أو انها كانت في جهة بعيدة عن الطريق . ومن الروايات ما جعلت خالداً يقضي كثيراً من الوقت في محاصرة المسالح والهجوم على المواقع المحصنة . ومنها ما جعلت خالداً يسير على طريق ملتوٍ يشرق تارةً ويغرب تارةً أخرى ، ويتوجه الى الشمال حيناً وينزل الى الجنوب حيناً آخر ، والذي يتفحص هذه الروايات بامعان يبدو له أن أولئك الرواة أخطأوا في سلسلة الوقائع وقدموا تاريخ بعض الحوادث وأخروا تاريخ البعض الآخر ، فأدخلوا بعض فتوحات خالد التي جرت بعد سنة ثلاث عشرة في ديار الشام في ضمن الحوادث التي وقعت في سفره من العراق الى الشام ؛ كما أنهم أدخلوا بعض فتوحات خالد في العراق التي وقعت قبل سفره في حوادث رحلته الى الشام . لذلك ارتبك عليهم الأمر وجعلوا خالداً يسلك طرقاً بعيدة المنال .

وقبل أن نستقصي أخبار هذه الروايات ونقارن بينها وتجريدها مما غشيها من أخبار وقعت قبل سفر خالد وبعده يجدر بنا أن نتثبت من ثلاثة أمور لأن الاستناد اليها يسهل لنا الوصول الى الحقيقة .

الأمر الأول : أرسل أبو بكر خالداً الى الشام مدداً وغوثاً للمسلمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاستمدادهم له . وتكاد الروايات جميعها تؤيد هذا ولا عبرة لما ورد في بعض الروايات أن أبا بكر صرف خالداً من حرب العراق معاقبةً له .

الأمر الثاني : ان ابا بكر استحث خالداً في السير الى المسلمين ، ذكر ذلك سيف بن عمر ، كما رواه الطبري [1] والرواية كما يلي :

« ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال : خالد لها ، فبعث اليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه في السير ، فنفذ خالد لذلك ، فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم » .

وذكر ذلك أيضاً المؤرخون المتأخرون ابن عساكر وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون .

الأمر الثالث : أغار خالد على الغسانيين ببرج راهط في يوم فصحهم . روى ذلك الواقدي والمدائني وأيده ابن الأثير .

(يتبع) طه الهاشمي

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٥٩١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٢ -

أبيات من مراثيه

لقد نظم في رثاء الامام المترجَم وذكر أعماله ومآثره قصائد غرّ ، ذكر طائفة منها صاحب الكواكب . وقد اخترنا أبياتاً منهـا نذكرها انموذجاً لما قاله فيه ، بعض واصفيه : قال ابن فضل الله العمري من قصيدة طويلة :

مثل ابن تيمية ترضى حواسده ... بحبسه ولكم في حبسه غدروا

مثل ابن تيمية في السجن معتقل ... والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر

مثل ابن تيمية تذوي خمائله ... وليس يلقط من أفنانه الزهر

مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى ... وما ترق بها الآصال والبكر

مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت ... بمسكه الغاطر الأردان والطرر

ومنها في حساده ومناوئيه :

هل فيهم صادع للحق مقوله ... أو خائض للوغى والحرب تستعر

رمى الى نحو غازان مواجهة ... سهامه من دعاء عونه القدر

بتل راهط والأعداء قد غلبوا ... على الشام وطال الشرّ والشرر

وشقّ في المرج والأسياف مصلتة ... طوائفاً كلهـا أو بعضها تتر

هذا وأعداؤه في الدار أشجعهم ... مثل النساء بظل الباب مستتر

ومن قصيدة لابن الوردي :

تقي الدين ذو ورع وعلم ... خروق المعضلات به تخاط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

توفي وهو مسجون فريد وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبا وليس له قرين ولا لنظيره لف القماط

ثم قال :

فيالله ما قد ضم لحد وبالله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طريقته كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

الى أن قال :

ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الامام فيستشاط
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وغظتموه أما لجزا أذيته اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت أقول ما عندي ولكن لأهل العلم ما حسن اشتطاط
فما أحد الى الانصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حابسيه ويهديكم اذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم فماطوا ما أردتم ان تماطوا
وحلتوا واعقدوا من غير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

ومن قصيدة للشيخ محمد العراقي الجزري :

يا طليق اللسان في كل فن فلقد شرفت بك العلياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان تكن مت فالعلوم التي أحـــييت من بعد موتهـا احياء

ومنهـا :

أنت «صخر» الوجود في كل أرض والبرايا جميعهـا «الخنساء»

ومنهـا :

قسماً بالإله لو أنصف الدهـــر لأضحى في كلّ بيت عزاء

ومن قصيدة زين الدين عمر بن الحسام الشبلي رحمه الله :

سل عنـه غازانا وسل أمراءه لمـا أتوا بطلائع الأسراء

والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها كم قدّ من عات بغير عناء

وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزي الحنفي :

فمن جاهد الأعداء في الدين مثله ومن سلّ سيف العزم في وجه غازان

ومنهـا :

وما ضره ان طال في السجن مكثه اذا كان في نسك وطاعة رحمٰن

هذا قليل من كثير من مواهب هذا الامام الكبير وأعماله .

* * *

علاوة على المحاضرة

دفع فرية على ابن تيمية

بحث تاريخي علمي

لقد صدق كثير من العلماء والأدباء في مختلف العصور هذه الرواية الآتية في رحلة ابن بطوطة الشهير ، وجعلوها قضية مسلمة يروونها ويتوارثونها الى عصرنا هذا ، حتى ان دائرة المعارف الاسلامية التي تنقل الآن الى العربية في مصر ، قد ترجمت لابن تيمية ترجمة بقلم الأستاذ محمد بن شنب (ص ١٠٩ — ١١٦ ج ١) فيها أغلاط كثيرة ، ونقلت عبارة ابن بطوطة هذه ، وهي قوله عن إمام الشام وشيخ الاسلام ابن تيمية «وكنت إذ ذاك بدمشق ، فحضرته يوم الجمعة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال : إن الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر » فرأيت أن أنشر كلمة في هذا الموضوع تكون الحد الفاصل بين الحق والباطل .

١ — ان ابن بطوطة رحمه الله لم يسمع من ابن تيمية ولم يجتمع به ، إذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية ، وكان سجن شيخ الاسلام في قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام ، ولبث فيه الى أن توفاه الله تعالى ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية ، فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع وسمعه يقول : ينزل .... الخ .

٢ — ان رحلة ابن بطوطة مملوءة بالروايات والحكايات الغريبة ، ومنها ما لا يصح عقلاً ولا نقلاً وهو يلقي ما ينقله على عواهنه ، ولا يتعقبه بشيء ، فمن ذلك قوله : (١ : ٥٤) وفي وسط المسجد (أي الأموي بدمشق) قبر زكريا عليه السلام ، والمعروف أنه قبر يحيى عليه السلام . وقوله أيضاً : وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين الف صلاة ، وهذا لا يقال من قبيل الرأي ، وسفيان أجل من أن يفضله على حرم الرسول (ﷺ) وعلى المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين وهما لم يبلغ الثواب فيهما هذه الدرجة ، كما هو معلوم للمحدثين وغيرهم ، ومن نقوله التي أقرها ولم ينكرها (١ ، ١٩٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦) النذور للقبور المعظمة ، والوقوف على أبواب الملوك ، ومن ذلك النذر لأبي اسحق ، اذا هاجت الرياح في البحار ، واشتدت الأخطار ، وهو ما لم يبلغه أهل الجاهلية الذين قال تعالى عنهم « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » .

٣ — لم يكن ابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع كما زعم ابن بطوطة (١ : ٥٧) (فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ على منبر الجامع) بل لم يكن يخطب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو يعظ على منبر الجمعة كما يوهمه قوله : «ونزل درجة من درج المنبر» وإنما كان يجلس على كرسي يعظ الناس ، ويكون المجلس غاصاً بأهله ، قال الحافظ الذهبي : «وقد اشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم ، وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح ، وقال : وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع» .

وقال علم الدين البرزالي في معجم شيوخه : «وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه ، وطهارة أنفاسه ، وصدق نيته ، وصفاء ظاهره وباطنه ، وموافقة قوله لعمله ، وأناب الى الله تعالى خلق كثير» وإنما كان يخطب الناس على منبر الجامع الأموي في عهد دخول الرحالة ابن بطوطة دمشق ، قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وقد كان خطيب المسجد ، وإمام الشافعية فيه ، وكان سكناه بدار الخطابة (ج ١ ص ٥٦ رحلة ابن بطوطة) .

ومما تقدم يعلم ان ابن تيمية كان مدرساً واعظاً ، لا خطيباً ، وكان يلقي درسه في التفسير صبيحة كل جمعة ، وهو جالس على كرسي في الجامع الأموي لا واقف على منبر فينزل درجة عنه ، وقد أشار الى ذلك الحافظ المؤرخ ابن عبد الهادي بقوله : «ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة (أي بدمشق) على عادته ، وقال وهو يصف حاله وأعماله بمصر : ويتكلم في الجوامع على المنابر من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، فهو لم يقل على منابر الجمعة ، ولا على منابر الخطابة ، والظاهر ان المراد بالمنبر كل ما ارتفع عن الأرض كما يؤخذ من مفهومه اللغوي ، فهو يعم هذه الكراسي التي يجلس عليها المدرسون في المساجد الكبرى بمصر والشام والعراق ليسمع منها الجماهير ، فكيف غفل ابن بطوطة عن ذلك ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ – انك لا تجد في جميع ما تراه من كتبه المخطوطة والمطبوعة غير تفسير مسهب لمثل قوله الذي نقله عنه الشيخ ابن ناصر الدين الشافعي في الرد الوافر : «ومذهب السلف والأئمة الأربعة وغيرهم : إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبارة من عند نفسه ، بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ، ويقتدي ولا يبتدي » ولمثل ما فسر به كلامه السيد صفي الدين الحنفي البخاري في القول الجلي بقوله : « قلت : – وتفسير كلامه أنه يجب الإيمان بجميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة كاليد والوجه والاستواء والنزول ، على وجه يليق به تعالى ، فلا يكيف بشيء منها ، ولا يمثل بصفات المخلوقين ، كما هو مذهب السلف ومن تبعهم من الخلف ، فلا يقال يد كيدنا ، ولا وجه كوجهنا ، أو استواء كاستوائنا ، أو نزول كنزولنا ، بل يداه صفته بلا كيف ، وكذا وجهه ، وهكذا فقس سائر الصفات والأفعال » وأقول : هذه عقيدته الحموية والواسطية والاصفهانية التي عقدت له المناظرات حولها في مصر والشام ، بل هذه أيضاً كتبه ورسائله وفتاويه وردوده في العقائد قد بسط الكلام فيها على آيات الصفات والأفعال وأحاديثها كالوجه واليدين والاستواء والنزول وغيرها بالمعقول والمنقول ، وكلها يتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » وقوله : « ليس كمثله شيء » رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله : « وهو السميع البصير » دفع للإلحاد والتعطيل .

٥ – إن طريقة شيخ الاسلام في إثبات الأسماء والصفات ، وفي بيان منشأ غلط المعطلة والنفاة ، واضحة في جميع كتبه ، وخلاصتها أن لهذه الصفات وجوداً علمياً ذهنياً ، ووجوداً خارجياً عينياً ، فوجودها الذهني ، هو العلمي المطلق المجرد عن جميع الخصائص والإضافات كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، وكون الموصوف حياً عليماً قديراً ، سميعاً بصيراً متكلماً ، وهذا القدر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشترك بين الموجودات كافة ، يطلق عليها بالاشتراك الاسمي أو اللفظي ، كما هو ثابت لها في الوجود العلمي والذهني ، ولكن شيئًا من ذلك لا يقتضي المشاركة في الأعيان الخارجية ، بل الذهن يأخذ معنى مشتركاً بين المسميين ، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق من المخلوق ، والمخلوق من الخالق ، ولا بد من هذا في جميع اسماء الله وصفاته ، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعين من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى .

٦ — بيّن شيخ الاسلام (رحمه الله تعالى) في الرسالة التدمرية وغيرها أن نفاة الصفات يقعون في كثير من الأوهام والمحاذير (منها) ظنهم أن مدلول النصوص هو التمثيل (ومنها) أنهم بنوا على ظنهم السيء تعطيل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من معاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى . (ومنها) أنهم نفوا عن الله تعالى تلك الصفات بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . (ومنها) أنهم وصفوا الرب تعالى بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المنقوصات والمعدومات ، فهم يجمعون في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله وآياته .

٧ — يظهر من كلام الحافظ ابن حجر ، أن الشيخ نصراً المنبجي الذي كان مقدماً في الدولة هو الذي أشاع مسألة النزول عن الدرج ، بسبب كتاب ورده من الامام ابن تيمية ينكر عليه فيه أقوالاً في وحدة الوجود ، ويعدّها عليه ، قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (١ : ١٥٤) : « وكتب اليه كتاباً طويلاً ، ونسبه وأصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الإلحاد ، فعظم ذلك عليهم ، وأعانه عليه قوم آخرون ، ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة ، وقعت منه في مواعيده (مواعظه) وفتاويه ، فذكروا أنه ذكر حديث النزول ، فنزل عن المنبر درجتين (كذا) فقال : كنزولي هذا ، فنسب الى التجسيم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأقول : قد عرفت المراد من لفظ المنبر ، حتى ان الحافظ ابن حجر قال : « وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة ، واللغة والنظر ، ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه » (ص ١٥٣ ج ١) من الدرر . وهذا مما يؤكد أنه كان يلقي درسه على كرسي يجلس عليه ، والمستمعون حوله ، فكلامه على طريقة المفسرين — من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، وإيراده من الآيات والأحاديث ونصوص اللغة ، وأقوال العلماء ، في مجلس واحد ما لا يورده غيره في مجالس كثيرة كما تقدم ، هو طريقة المدرسين المحققين في حلقات المجالس الكبرى لا خطباء المنابر وهم وقوف ، لا سيما وقد صرحوا بجلوسه في دروسه ، وهذا لا يتيسر على منابر الخطب الجمعية .

ثم انظر الى قوله في خصومه : ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة ، فإذا كانت مغيرة فما ذنبه هو حتى يؤخذ بها أو تؤخذ عليه ؟ « ولا تزر وازرة وزر أخرى » والحافظ ابن حجر هو ناقل غير قائل ، وفي قوله : « عقائد مغيرة » ما يثبت أنه لا يعتد بما قالوه ، بل لا يعبأ بما افتري به عليه ، كيف وقد نقل أقوال الأئمة الثقات فيه ، وهم قد نزهوه عن تلك المفتريات ؟ ومن أراد استيفاء البحث فليراجع مجموعة الرد الوافر ، أو الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ، أو ملحق الجزء الرابع من فتاويه ، أو العقود الدرية للحافظ ابن عبد الهادي ، ليبلغ حد اليقين في نفي مطاعن الطاعنين .

٨ — إن العلوم الحديثة قربت فهم النصوص على طريقة السلف ، وبينت أنها الأعلم والأحكم ، بَلْهَ كونها الأهدى والأسلم ، فمن ذلك حديث النزول الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا .... الخ » فقد أورد في كتاب (دفع شُبه التشبيه) قول القاضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبي يعلى : « النزول صفة ذاتية ، ولا نقول : نزوله انتقال ، وقال ابن الجوزي : « وهذا مغالط » قلت : ليس بمغالط فقد ظهر في عصرنا ما يؤيد قوله ، فإن صوت المذياع الآن يسمع من كل مكان كما يسمع من مكانه ، وهذا الاختراع الحديث يقرب لنا فهم ما أورده البخاري في صحيحه ، من أن الله ينادي عباده بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، ومثله : اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صوته .. الخ ، بل الآلة التي تريك المتكلم الآن حاضراً عندك وهو لم يبرح مكانه (Télévision) تهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال ، وأن هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل ، كما قال القاضي أبو يعلى ، ومثله إسناد صفة الكلام اليه تعالى في قوله : « وكلم الله موسى تكليما » وقول رسوله : « إذا تكلم الله بالوحي » فوصفه بما وصف به نفسه حقيقي غير مجازي ، وهو لا يحتاج الى تأويل بله التعطيل ، فراراً من شبهة التشبيه ، فإن تشبيه من ليس كمثله شيء ، بالمخلوق المتكلم بفم ولسان ، غير وارد من أصله ، فقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان ، كالمذياع والحاكي ، أفتأبى قدرة الله وحكمته إلا أن يتكلم بفم ولسان كالانسان ؟ أليس هو القادر على أن يختم على فم الانسان ، وينطق جسمه الصامت كما أخبر بعدة آيات ؟ منها قوله سبحانه « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم » الآية . أفيعقل أن يكون هذا القادر الحكيم عاجزاً عن التكلم إلا بفم المخلوق ؟ وجملة القول : إن هذه الرواية مختلقة على ابن تيمية سواء صحت عن ابن بطوطة أم لم تصح ، فهو لم يره ولم يسمع منه ، ومؤلفاته جميعها ترد عنه هذه الكلمة الشاذة ، بل لو ثبتت الرؤية والسماع ، لصح أن نقول : إن ابن بطوطة شبه له ابن تيمية كما شبه عنزق النخلة في القصة التي حكاها ابن بطوطة في سبب تسمية الشيخ رسلان بالباز الأشهب (ج ١ : ٥٩) وقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت دخلت على شاب من معارفي ، فقلت له : ما أشبهك بفلان ، قال : فلان ما أعرفه ، ولكني أعرف شابًا آخر لولا تحققي من وجودي المستقل عنه لظننته إياي ، وحكايات الشبه والاشتباه في الأشخاص والأشياء لا تكاد تحصر ، وهي داخلة في باب تحقيق الشخصية (Identification) من كتب الطب الشرعي وغيره .

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وإنما أملاها على ابن جزي الكلبي ، وقال هذا في المقدمة : « ونقلت معاني كلام الشيخ ابي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها » . فيجوز أن يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ، والله تعالى أعلم .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر، مع نقد وتعليق

- ٢ -

رأيي في إعجاز القرآن :

والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها . ومن هذه المميزات ما يرجع الى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليبهم في الكلام وهي المميزات الظاهرة الواضحة التي يمكن حدها والإشارة اليها . ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله ، بل قد يكون متعذراً .

فمن هذه المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن افتتاح آياته وسوره بما لا عهد للعرب به ، كالحروف المتقطعة في أوائل السور ، فإنها كالمفتاح الموسيقي للآيات التي بعدها ، وتوجيهه الخطاب في مثل قوله : يأيها الذين آمنوا ، يأيها الذين أسرفوا على أنفسهم . ومنها انتهاء هذه الآيات بفواصل موسيقية تنتهي بحرف ساكن قبله حرف لين أو بحرف لين قبله حرف صوتي مما يعطي ضرباً مستعذباً خاصاً من الموسيقى . ومنها هذا الضرب من الموسيقى الداخلية الناتجة من موسيقى الألفاظ مفردة ومركبة بعضها مع بعض . ومنها هذه المواضع التي تصلح للوقف في خلال الآيات والتي يتفق الوقف فيها مع أداء المعاني الجزئية في الجمل مما يضطر القارئ الى التمهل في القراءة وتدبر المعنى وترتيل القراءة . ومنها توافق الحروف في أواخر الآيات أو تقاربها مما يشبه السجع ، ولكنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا بقاس به من حيث استعذاب النفوس له . ومنها هذا التقارب في مقدار الجمل ، والانسجام فيما بين الفاظها المفردة وتراكيبها ، حتى لكأنها تجري على وزن خاص .

وأما الشيء الداخلي المعجز في القرآن والذي يدرك بالذوق فهو أنه قد حوى صفات الادب الخالد ومميزاته . وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله . وهذا ما جعله لا يخلق على التكرار ، ولا يسرع الملل الى قارئه مهما أعاده ، إذا لم يكن معارضاً متحيزاً أو متحاملاً .

هذه المميزات التي تجعل منه أدباً خالداً تظهر في الفكرة العامة السامية التي يقول بها القرآن والتي تجعل فيه وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الانسانية وتظهر في العاطفة الصادقة القوية العميقة التي تنبث فيه ويستشفها القارئ له من ثنايا آيه وسوره وتثيرها التلاوة في نفسه فيشعر أن روحاً نورية خفية تحمله من عالم الارض لتحلق به في عالم السماء ، ويدرك أن القرآن يفتح عينيه ليرى المثل العليا جلية بهية قريبة المنال اذ صمم العزم على سلوك طريقها .

وتظهر هذه المميزات في تعاليمه الرفيعة وقيمه الأخلاقية التي تسعى لتنظيم الكون برغم بساطتها وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها . وتظهر في الخيال الخصب الذي يصور الندم وعذاب الضمير وآلام النفس وأفراحها وتعاطف البشر ، ويصور الجنة والنار وعبر من مضى وقضى من الأمم . وتظهر في أسلوبه العظيم الذي أدى ما يراد إبلاغه الى الناس بأجمل موسيقى وخير أداء فترى المعنى ينساب الى النفس مع انسياب الألفاظ الى السمع فكأن الكلام يقع في القلب لا في الأذن وترى الروح فيه يخاطب الروح وتدرك منه معرفة منشئه بالنفس البشرية وحسن التأتي في مخاطبتها مما حمل بعض الباحثين الحديثين على القول بالإعجاز النفسي للقرآن .

هذه الصفات التي تجعل من القرآن أدباً خالداً هي التي أذهلت عقول الجاهليين فحاروا فيما يقولون فيه : أشعر هو أم سحر ، أكلام بشر هو أم كلام فوق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

طاقة البشر . وهذه الصفات نفسها هي التي ساقت بعض علماء المسلمين لأن يقولوا : إن القرآن معجز لأن الله يحيط بالألفاظ والمعاني فيقدّ الألفاظ على أقدار المعاني فينتظم منها ما يسحر اللبّ ويأخذ بالقلب . وهي التي ميّزت فن القرآن عن غيره من فنون الأدب ، وأدت ببعض العلماء ان يردّوا على من يتساءل : « لماذا لم ينزل القرآن شعراً من جنس كلام العرب الذي برعوا فيه حتى تصح المقارنة بينهما » بأنه لو كان شعراً لم يكن خارقاً للعادة ، ولم يكن جديداً ، ولم تكن له طلاوته ، وبأن القرآن على الرغم من أنه يتناول أبحاثاً من طبيعتها ألا تتناول في أسلوب فصيح بليغ لأنها تعبر عن فكرة مجردة أو عن واجبات دينية اجتماعية فهو يعبر عنها فيما هو الغاية في الجمال والفصاحة .

ونتساءل بعد هذا أليس من سبب لعجز العرب عن المعارضة غير سحر القرآن وعجز العرب ، إذ أن من المؤكد أن ثقافتهم حينئذ برغم تقدمها النسبي لم تكن تسمح لهم بوضع تشريع راق ، ولِمَ لم يحاولوا بالفعل أن يعارضوا القرآن وقد ثبتوا طويلاً على تكذيب الرسول ، فإننا لا نسلّم بأنهم جميعاً كانوا يؤمنون بأنه صادق ، وأنهم إنما كانوا يظهرون غير ما يبطنون أنفة ومكابرة وجحوداً ، بل لا جرم أن كثيراً منهم لم تتقبل أذهانهم فكرة الوحي واتصال الأرض بالسماء . فهذا أبو سفيان بن حرب الأموي يأتي النبي مستلماً قبيل فتح مكة فيقول له النبي : أما آن لك أن تشهد أني رسول الله فيقول : « أما هذه يا ابن أخي ففي النفس منها شيء » .

واذا كان في نفوس ابي سفيان وأمثاله شيء من نبوة محمد فلِمَ لم يعارضوه ويخملوه ، إذا كان ذلك في استطاعتهم ، بل لماذا لم يحاول ابو سفيان نفسه معارضته مع اعتقاده بكذبه . لا نستطيع أن نخرج من هذا إلا بأن بعضهم كانوا يشعرون بعجزهم عن ذلك ، وبأن بعضهم كمن ذكرنا قبل حاول المعارضة وفشل .

ويبدو أن مفردات الألفاظ لم تكن هي التي تعوزهم لو أرادوا معارضة القرآن ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لأن القرآن لم يستعمل إلا ألفاظاً مستعملة في بيئتهم . ولكن كان بموزهم الأفكار الخصبة التي تربطها وحدة شاملة يمكن أن تؤلف شريعة . فبلاغة القرآن التي أدهشتهم لم تقم على اللفظ والسبك والموسيقى فقط ، فهذا جانب يسير منها . والجانب الأكبر هو تلك الغاية الاصلاحية التي يغذيها تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيها عاطفة متأججة وخيال خصب وروح سام يتوخى تحقيق هدف هو مثل أعلى للحياة البشرية يتيسر تحقيقه .

فيمكن المباراة أن يأتوا ببيان ساحر . وهذا البيان يجب أن يكون من الجنس الذي يأتي به النبي — وهذا بدهي وان لم ينصّ عليه — بحيث يقرعون الحجة بالحجة ويبينون فساد شريعة النبي . وهذا ما كان بموزهم .

هذا إذا نظرنا الى الأمور نظرة واقعية صرفة أما اذا أدخلنا الايمان الديني في الميزان فمن السهل أن تقول بأنهم بشر ينقطعون عن أن يأتوا بكلام يضارع كلام الله .

ومن جهة ثانية نرى أن النبي قد جاءهم بتعاليم اجتماعية لا يتأتى أن ينكروا جمالها وسموّها فينقضوها بضدها ، على ما فيها من إضرار عظيم بمصالحهم الخاصة . وما كان في مقدورهم مهما حسن كلامهم أن يحسّنوا القبيح ويشوّهوا الأصول الجميلة التي تكلم عنها القرآن ببيان ساحر . وفي هذه الحالة ينقصهم صدق العاطفة والإيمان بالفكرة اللذان بدونهما يستحيل أن يكون أدبٌ خالد رائع .

ولو أنهم في سبيل قهر النبي وافقوه على أفكاره ودعوته للاصلاح وجاؤوا بمثل ما جاء به من سحر البيان لقضوا ، ولا شك ، على نفوذه وأثبتوا كذبه ولكن لهم الأمر والغلبة عليه . ولكنهم يفقدون عندئذ المكانة التي اكتسبوها في بيئتهم وكانوا جدّ حريصين عليها . وليس من السهل على الخصم أن يوافق خصمه على أفكاره ليقضي عليه ، فطبيعة الخصومة تقتضي التمسك بالرأي ولو ظهر فساده . ثم إن الخلاف الجوهري الذي هو خلاف على الأصول يزول حينئذ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي أعتقده أن ضعف ايمانهم بتعاليمهم وبنجاحهم وبقواهم المحدودة ما قام لقوة إيمان النبي وصدق يقينه وثقتـه بنجاحه . فما ادعى النبوة افتراء وابتغاء للكذب ، وإنما كان يشعر بأنه لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يأتي به إن هو إلا وحي يوحى . ومهما كانت أسباب عجزهم فالواقع أنهم عجزوا . وكيف لا يعجزون ؟ وهم ما أحسوا في قرارات نفوسهم بالتجربة النفسية الدينية التي كان الرسول يشعر بها ولا أحسوا ببعضها وكيف يستطيعون مجاراته في التعبير عنها أو عما يضارعها .

ثم هل كان يفيدهم شيئاً لو جاؤوا بمثل القرآن سحرَ بيان أو أن حسم النزاع كان لا يتحقق إلا في نتيجة الصراع الروحي المادي بين فكرتين : فكرة المحافظة على القديم ، وفكرة التجديد وبناء المجتمع على أسس متينة في الدين والاجتماع والسياسة . وكان من الطبيعي أن يكتب البقاء للأصلح منهما ، وأن يذهب الزبد جفاءً ويبقى ما ينفع الناس في الأرض . وما كان الفقير المعدم الذي أطمعه النبي في زوال بؤسه بما وعده به من أموال الزكاة ، ولا العبد المظلوم الذي يطمح للحرية ، ولا الرجل المهين المغصوب الحق ، أن ينصتوا لأبي جهل مثلاً اذا عارض القرآن بما يخالف كلمة الاصلاح . وقد كان لتنظيم قوى المسلمين المادية تنظيماً حسناً أثر كبير في حسم النزاع بينهم وبين المشركين . ولم يكن ليحسم النزاع تحكيم البلغاء في أي الكلامين أبلغ : أكلام القرآن ، أم كلام أحد المشركين . ولو فشل النبي فهل كان يحفظ القرآن ، أو كان يحل محله أقوال المشركين وقرآن لهم آخر ؟ فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاز قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة .

هذا التساؤل ليس إلا قولاً مجرداً لا ينتقص من إعجاز القرآن ، لأن الواقع أن العرب ، كما قلت سابقاً ، قد أدركوا جماله الفني ذوقاً وسليقة ، وأدركوا في باطنهم عجزهم عن مثله كما أدرك درجته من البلاغة أكثر البلغاء الذين جاؤوا منذ ابتداء الدعوة الاسلامية حتى الآن . واذا كان بعضهم كما سنرى بعد قد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنكر إعجازه فإنه لم ينكر مبلغه من البيان ، ومن أنكرها كان من المكابرين مكابرة من ينكر ضوء الشمس الواضح .

ولا يغيبنّ عن البال أن لقوة العقيدة وضعفها أثراً كبيراً في القول بالإعجاز أو عدمه . فإن للقرآن في قلوب المؤمنين قوة قدسية تترك فيها حين تلاوته أثراً لا تتركه في قلوب الشاكين في أصل العقيدة الدينية أو المنكرين لها .

وعند هذا الحد أنتهي من الكلام على الجدال بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول . وقد رأينا أنه كان زمن الرسول فكرة بسيطة قوامها التحدي الذي جاء في القرآن وعَجْزُ العرب عن أن يأتوا بمثله عجزاً ظاهراً يتبين من الروايات التاريخية التي بين أيدينا . وقد رأينا أن كلتي إعجاز ومعجزة لم تستعملا زمن النبي وإنما استعمل القرآن في مكانهما كلمات أخرى كالآية والبرهان والسلطان .

وترجع بساطة الفكرة في زمن النبي الى سذاجة الثقافة وعدم تعقدها قبل مخالطة الأعاجم ودراسة الفلسفة والعلوم الأخرى . وأنتقل الآن الى الكلام على فكرة الإعجاز ، وما آلت اليه لدى العلماء في مختلف العصور بعد هذا العهد ، وما طرأ عليها من الفكر الإضافية المستمدة من عناصر ثقافية جديدة لقحت الإسلام في العصور التي تلت عصر البعثة بلقاح فكري جديد .

* * *

الاعجاز بعد عصر النبي

مقدمة :

كان المسلمون في عهد النبي ومن بعده من الخلفاء الراشدين ولا سيما زمان أبي بكر وعمر لا يطيلون النظر في دراسة مسائل الدين ولا يثيرون قضاياه المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي كالقول بالجبر أو الاختيار ومشاكل الصفات الإلهية والذات وذلك لضعف ثقافتهم في بادئ أمرهم وانعزالهم في جزيرتهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعزوفهم عن غيرهم من الأمم وعملاً بالحديث الشريف : « إن هذا الدين لمتين فأوغلوا فيه برفق فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وكانوا ينظرون الى القرآن نظرة تسليم ورضى على أنه كتابهم الديني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبأنهم يجب أن يرجعوا اليه في عامة أمورهم الدينية والمعنوية وكلّ ما يختلفون فيه من قضايا وآراء تعرض لهم في حياتهم ويرونه المثال الأعلى في كل ما يحزبهم ومنه قوة البيان ومما يدلنا على ذلك قول ابن مسعود : « القرآن لا يتفه ولا يتشانّ » وقوله : «اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنّق فيهن[1] » . وهذه النظرة الى القرآن هي التي توافق مقتضى حالهم ، فالقرآن هو الروح الذي يوجههم الى مراتب الكمال في الدين والدنيا ويأخذ بألبابهم وهو مصدر ثقافتهم الأكبر يرفده الشعر وما أثر من الأمثال والنثر .

وأمر المسلمون بعدم الخوض في بعض الأمور التي تثير الشبهات وتضعف الإيمان بإثارتها الشك عن طريق التفكير فيها فأطاعوا الأمر راغبين .

فلما قاموا بالفتوح في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان اختلطوا بسكان البلاد المفتتحة وكانوا أكثر منهم مدنية وثقافة اختلاطاً بدائياً عادياً لم تثر فيه مناقشات دينية بين الغالبين والمغلوبين أو أحاديث في مسائل دينية فلسفية وكانت العرب يومئذ على أشد ما كانوا من الحماسة لدينهم من جهة ولأن الجفاء والانكماش كانا بادئ بدء من الأمور الطبيعية بين الغالب الذي يخشى انقلاب المغلوب عليه والمغلوب الذي يتقي صولة الغالب ويخشى بطشه .

ثم قامت الفتن السياسية في زمن عثمان وعليّ ورافقتها المناقشات السياسية والعصبية فرجع المسلمون إلى القرآن ليحكم بينهم واضطروا الى تفسير آياته ولم يلبث الخلاف السياسي أن انقلب الى خلاف مذهبي يرجع الى الفكر في رسم خطوطه الأساسية وفي دعمه وتأييده فظهرت فرقة الشيعة في طورها الأول

(١) أي أتتبع محاسنهنّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو طور مناصرة عليٍّ على خصومه الأمويين ، وجماعة تنصر هؤلاء ، وفرقة الخوارج التي نشأت بعد قضية التحكيم بين علي ومعاوية ، وجماعة سائر المسلمين الذين وقفوا من هذه الفرق المتطاحنة موقف الحياد . وحمل ذلك كله المسلمين على التفكير في معاني أكثر آيات القرآن تفكيراً عميقاً بعث فيهم حركة فكرية وإن كانت محدودة فهي قوية لما رافقها من النقد غير المقصود في طوره البدائي .

ثم زاد امتزاج المسلمين بشعوب البلاد التي كانت كما قلنا أكثر حضارة منهم وهي شعوب متعدّدة المذاهب وكل هذه المذاهب تخالف دينهم وتنكر صحته أشد الانكار ، ومن هذه البلاد الديار الشامية ، وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الاسلام بزمن طويل على ساق وقدم تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوتيته وقضية القضاء والقدر فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات . واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم . فاضطروا الى مناقشة أصحاب الأديان في أديانهم والدفاع عن الاسلام الذي ينكره خصومهم . وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبيّ ومسألة تحدّي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ومسألة أنه وحي منزل من عند الله لا كلام ألفه الرسول . وشحذ المسلمون عقولهم لايجاد الحجج العقلية التي تؤيدهم وتقنع خصومهم أو تسكتهم فلم يجدوا أدلّ على صدق نبوة النبي من القرآن فاعتمدوا عليه وقالوا بإعجازه وجعلوه مساوياً لمعجزات سائر الأنبياء المرسلين .

وساعدت النهضة العلمية التي قامت في مدينتي البصرة والكوفة وما ظهر بينهما من اختلاف في الآراء اللغوية والنحوية كما ساعد الخلاف في الرأي بين الفرق الاسلامية نفسها على أنهاض العقول من كبوتها وإثارة المناقشات في كل ما يتصل بحياة المسلمين العامة دينية وسياسية واجتماعية ومنها مسألة إعجاز القرآن .

وكانت حرية الرأي محدودة في زمن الراشدين والأمويين والسيف مصلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على رؤوس المخالفين الذين يطعنون في الدين ، ولم تنطلق الألسن من عقالها إلاّ في أواخر حكم بني مروان . ومع ذلك فانّ أول طعن في القرآن ظهر مبكّراً في عهد الرسول أو الخلفاء الأول فقد عزي الى رجل يهودي يسمى لبيد بن الأعصم (١) أنه قال : إن التوراة مخلوقة فالقرآن كذلك مخلوق وذكر أن ابن اخته طالوت أشاع قوله هذا في الناس فدان به بنان بن سمعان الذي تنسب اليه الفرقة البنانية وتلقاه عنه الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد آخر خليفة أموي وكان متهماً بالزندقة وخش الرأي واللسان ونسب اليه أنه أول من صرّح بالحملة على القرآن والردّ عليه وإنكار بعض ما ورد فيه وبأن فصاحته غير معجزة وبأن الناس يقدرون على مثلها وعلى ما هو خير منها وذلك بالاضافة الى قوله بخلق القرآن . وكان يصرّح بهذا في دمشق عاصمة الأمويين وكان الخليفة مروان بن محمد فيما يظهر يرى رأيه أو يسكت عنه حتى نسبه بعضهم اليه فقيل فيه مروان الجعدي . وهذا يدلنا على أن الأفكار الحرّة بدأت تظهر في آخر حكم الأمويين في صورة واضحة عظيمة الخطر لا في الخلاف بين المسلمين وغيرهم بل بين أهل السنة وغيرهم من أتباع المذاهب المناوئة لها وكان جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم يرجعون في هذا العهد الى القرآن لتأييد آرائهم .

ولما انتقلت الخلافة من الأمويين الى العباسيين زاد اختلاط الأعاجم بالعرب المسلمين وكان أكثر الخلفاء العباسيين يتسامحون في الأمور الدينية وفي كل شيء غيرها إلا ما يتعلق بأمور السياسة والملك . ونشّط الخليفة المنصور ، وهو الثاني منهم ، حركة الترجمة والتأليف فاطلع العرب على علوم الأعاجم من اليونان والفرس والهند مما لم يكن لهم به سابق علم فساعدهم ذلك على إعمال عقولهم وعلى انطلاق تفكير بعضهم تفكيراً حراً لا يقيده الا الاجتهاد العقلي .

ولما كانت الحرية الدينية مطلقة أو شبه مطلقة فقد وجدت في العهد العباسي

(١) نسب اليه أنه سحر النبي ، راجع صحيح البخاري في باب السحر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منذ بدئه جماعة من المفكرين الأحرار ممن تختلف درجة تفكيرهم الحرّ قوةً وضعفاً . وكان من أشهرهم موالي منتصف القرن الثاني الهجري ابن المقفع وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الحميد الكاتب ووالبة بن الحباب وهم كتاب أو شعراء وقيل إنهم كانوا يجتمعون معاً وينتقدون القرآن أو يحاولون أن يجاروه بالنظم والأسلوب ويسدّد هذا القول بصفة خاصة الى ابن المقفع وسنرى مقدار حظه من الصحة .

ويلاحظ في تاريخ الأدب العربي أن الاتهام بمعارضة القرآن قد وجه الى كثير من الكتاب والشعراء في العهود المختلفة منذ الأزمان الأولى حتى أواسط القرن الخامس الهجري تقريباً ويرجع ذلك فيما نرى الى قوة أساليب هؤلاء الأدباء وكيد خصومهم لهم والى أن كثيرين منهم كانوا من ذوي التفكير الحرّ أو ممن يميلون اليه . وممن اتهموا بالمعارضة عدا ابن المقفع أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ وأبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ وابن سينا الفيلسوف .

والروايات التي تتهم هؤلاء الرجال تنتهي الى القول بأنهم كفّوا عن معارضة القرآن شعوراً منهم بعجزهم . ولعلّ الاتهام بالمعارضة قد بولغ فيه أو اختلق اختلاقاً لاثبات العجز عن مقارعة القرآن لأعظم شعراء العربية وكتابها والدلالة على أن هؤلاء إذا عجزوا فان من دونهم أعجز . ولعلّ نسبة المعارضة اليهم راجعة الى أنهم جاءوا في عهد كثرت فيه المذاهب والفرق الاسلامية واحتدم الجدل في قضايا الدين ومسألة الإعجاز منها خاصة فلا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الأدباء الذين اتهموا بالمعارضة من ذوي التفكير الحرّ قد أدلوا برأيهم فنقل عنهم مبالغاً فيه واسترسل فيه الخيال فأضاف اليهم ما لم يقولوه وحمّل ألفاظهم فوق طاقتها مما لم يذهبوا اليه ، أو أن أحدهم قد شاع عنه الاستخفاف بالشعائر أو عدم القيام بها فوصم بإنكار الدين والرسالة وبمعارضة القرآن وغير ذلك من الأمور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونجد الى جانب هولاء المفكرين الأحرار جماعة يطعنون في القرآن وهم أصحاب المذاهب الأخرى الذين أتاحت لهم الحرية في خلافة المأمون أن يبينوا آراءهم في النبوة والقرآن على ما يبدو لهم فقد كان المأمون يقول بحرية الرأي ويحميه من تعصب العامة ولا يحول دون الادلاء بالآراء في مسائل الدين ولهذا نراه يناصر فكرة خلق القرآن التي طغت على كل شيء في هذا العصر حتى فكرة إعجاز القرآن التي أصبحت يدور الجدل فيها حينئذ على أنها جزء من مسألة خلق القرآن . ولا شك في أن أصحاب الأديان الأخرى كانوا يطعنون في النبوة والقرآن منذ عهد النبي ولم يكونوا في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين يستطيعون الجهر بآرائهم وتدوينها كما فعلوا في هذا العصر . فنحن نرى عبد الله بن اسماعيل الهاشمي أحد رجال المأمون يكتب كتاباً الى صديق له مسيحي اسمه عبد المسيح بن اسحق الكندي يسأله فيه الدخول في الاسلام ويبين فضله على النصرانية ويذكر ان القرآن هو احدى المعجزات المؤيدة لرسالة النبي فيجيبه عبد المسيح على كتابه بكتاب طويل ينقض فيه حجج صديقه كلها وبخاصة ما يتعلق بالقرآن ويذكر بعض ملاحظات شديدة على الطريقة التي جمع بها القرآن وعلى إعجازه ولغته وأسلوبه ويحاول بكل الطرق الممكنة دحض فكرة مجاوزته طاقة البشر .

استمر هذان التياران تيار المفكرين الأحرار وتيار أصحاب الديانات الأخرى المناهضين حتى العصر الحاضر ونظن أنهما سيستمران الى الأبد ووقف أمامهما أول ما وقف في بدء العصر العباسي حين تكونت المذاهب الاسلامية المختلفة تيار فرقة المعتزلة التي ظهر بظهورها أول كلام علمي منظم في الإعجاز وذلك في منتصف القرن الثاني من الهجرة وبعد وجودها ردّ فعل لظهور طبقة المفكرين الأحرار ولمناهضة أرباب الديانات الأخرى للإسلام مناهضة عملية . وظهرت بعد فرقة المعتزلة في الدفاع عن فكرة الإعجاز جماعة المتكلمين ثم جماعة المفسرين ثم جماعة الأدباء المنافحين عن القرآن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نشأت فرقة المعتزلة ونشأت معها مسألة خلق القرآن وقدمه فيما نشأ معها من مسائل وتناول بحثهم في جملة ما تناول مسألة الإعجاز . وأشهر من تكلم فيها منهم النظام المتوفى سنة ٨٤٥ م وعيسى بن صبيح المزدار المتوفى سنة ٨٥٠ أو ٨٧٠ م والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ولم يؤلف كتاباً خاصاً فيها الا الجاحظ وكتابه في هذا الموضوع المسمى بنظم القرآن مفقود مع الأسف .

وستأتي آراء هؤلاء المعتزلة في حينها عند الكلام على كل منهم بمفرده مرتبين بحسب تاريخ وفاتهم . ولكل منهم رأي في الموضوع يخالف رأي الآخر .

وظهر علم الكلام مع ظهور المعتزلة وبدأ فيه الكلام على مسألة الإعجاز كما يظهر في القرن الثالث من الهجرة فقد ألف فيه كتاب الدين والدولة في الدفاع عن الاسلام وإثبات النبوة للرسول العربي ومؤلفه هو علي بن ربن الطبري[1] مولى المتوكل (٢٣٣ — ٢٤٧ هـ) وذكر في مقدمة الكتاب أن الخليفة أعان على تأليفه وأورد فيه براهين على نبوة الرسول واختص الباب السابع منه للقول بأن القرآن هو معجزة النبوة وتدل براهينه والصيغة التي تجلت فيها على أن هذه المسألة لم تطرق من قبل في علم الكلام وأنها لا تزال تؤخذ الى ذلك الوقت كما تؤخذ العقائد المسلمة التي يؤمن بها متبعوها إيمان العجائز وأن أبحاث علم الكلام ما كان ينظر فيها جميعها على أنها وحدة متماسكة إلا على الندرة وكان يبحث في كل منها مستقلاً عن الآخر في بعض الأحايين[2] .

وقد تكلم في هذه المسألة أيضاً ابو الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ) وقد ضاعت كتبه الا قليلاً ولم يصل الينا منها الا كتاب « مقالات الإسلاميين » ووقفنا على شيء من أفكاره في كتب أخرى كتبت عنه .

---

(١) راجع ترجمته في إخبار العلماء بأخبار الحكماء وقد ذكر أسماء مؤلفات له ولم يذكر بينها كتاب لدين والدولة .

(٢) راجع مقال عبد العليم الهندي في المجلة الاسلامية :
The Islamic Culture N 1 and 2 (32) ° Years .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن أشهر المتكلمين الذين بحثوا مسألة الإعجاز محمد من يزيد الواسطي (٣٠٦ هـ) وعلي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) واحمد بن محمد الخطابي (٣٨٨ هـ) وأبو بكر محمد الباقلاني (٤٠٣ هـ) ومحمد بن يحيى بن سراقة (٤١٠) والشريف المرتضى (٤٣٦).

وممن لم تصل كتبهم الينا متكلم كبير آخر هو أبو اسحاق الفرايني المشهور بلقب الأستاذ (٤١٨ هـ) فقد تعرّض لهذه المسألة في كتابه «جامع الجلي والخفي في أصول الدين في الردّ على الملحدين» وممن جعلوها جزءاً من كتبهم التي وصلت الينا ابن حزم (٤٥٦ هـ) في كتابه «الفصل في الملل والنحل» والغزالي (٥٠٥ هـ) في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» والقاضي عياض (٥٤٤ هـ) في كتابه «الشفاء».

ويدور علم الكلام على الإلهيات، والنبوات، تتناول الأولى مسألة الإعجاز من حيث أن القرآن كلام الله والثانية تقوم بجملتها على فكرة الوحي ولا تصح النبوة من دون فكرة الإعجاز، ورأى المتكلمون أن القرآن يتحدى العرب في أن يأتوا بمثله ويصف نفسه بأنه فوق طوق البشر، والنبي يقول في حديث له: «ما من نبي إلاّ وأوتي ما مثله آمن عليه البشر وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» فاستلهموا منها براهين الإعجاز.

ويبدأ المتكلمون بحثهم غالباً بأن القرآن معجزة النبوة كما فعل القرآن نفسه حين ردّ على منكري الرسالة وهم يقدمون خمسة أحكام يناقشونها ويقولون إنها اذا ثبتت صحت رسالة النبي وهي:

١) أن النبي قد ظهر. ٢) أنه ادّعى النبوة. ٣) أنه قدّم معجزة. ٤) أنه تحدّى الآخرين ليأتوا بمثلها. ٥) أن الناس قد عجزوا عن معارضته ولم يستطعها أحد.

والحكمان الأولان مفروغ منهما لأنه لا ينكرهما أحد. وتحدي النبي العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا ينكره أحد لأنه مذكور في القرآن في أكثر من آية . وهم يستدلون على أن من تحداهم النبي قد عجزوا عن مثل القرآن لأنهم لو جاءوا به لوصل الينا كما وصل الينا الشعر الجاهلي والخطب وأنه لا يصح أن يقال إن المسلمين أخفوها أو إنها ضاعت لأن الخصوم كانوا يحفظونها لو وجدت ، ولا يتأتى أن يجهلها المسلمون لو وجدت لأنها تنقض ما يؤيد عقيدتهم . ثم إن اعتقاد الناس قرناً وأجيالاً بأنه فوق الطاقة كاف لأن يبرهن أن أحداً لم يستطع الاتيان بمثله . وما ذكر من معارضات للقرآن كان سخيفاً لا يوازيه . وحجة المتكلمين العامة على إعجازه هي ان العرب إن عجزوا عن مثله فغيرهم أعجز وقد اختلفوا في وجوه إعجازه وسنرى رأي كل منهم على حدة بعد هذه المقدمة .

وكتاب الباقلاني بين كتب هؤلاء الباحثين هو الحلقة الوسطى بين الأبحاث التي تقدم لإثبات إعجاز القرآن وهو يلخص كلام من تقدمه من المؤلفين . واليه تنتهي ومنه تتفرع كل الكتب التي ألفت بعده .

وفي نهاية القرن الرابع أي لدن وفاة الباقلاني تقريباً (٤٠٣ هـ) أخذت أكثر نظريات الإعجاز في علم الكلام شكلها النهائي وسارت الأعصر التالية على غرار الأولى في التأليف وكانت مهمتها جمع ما قاله المتقدمون ولم تك مهمة المتكلم فيها وضع براهين جديدة بل وضع هذه البراهين في صور جديدة فالماوردي مثلاً بعد عشرين دليلاً على الاعجاز ولكن ليس فيها دليل جديد .

وأهم براهين المتكلمين على الإعجاز البلاغة والنظم البديع والمعاني الرائعة والإخبار عن الغيوب والأمور المستقبلة وغيرها مما سنراه بعد بالتفصيل . وقد ذكر بعض المتكلمين دليل الصرفة . والمتكلمون من الشيعة أكثر ايراداً له من المتكلمين من أهل السنة (راجع ترجمة القطب الراوندي في أعلام الشيعة) وهذا يثبت الرابطة بين أصحاب التشيع النظريين والمعتزلة وبخاصة المتقدمين منهم .

ويلاحظ في أبحاث المتكلمين بصورة عامة أنهم يخصون بعض صفحات من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتبهم ليردّوا على الانتقادات التي قال بها غير المسلمين وأحرار الفكر بعد أن يتعرضوا لمسألة إعجاز القرآن .

وقد أفرد أبو الحسن عبد الجبار (الهمذاني) الأسعد آبادي المتكلم (٤١٥ هـ) لهذه الانتقادات والرد عليها كتاباً خاصاً شمر بالحاجة الماسة الى وضعه وسماه « تنزيه القرآن عن المطاعن » (وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ) .

ويرجع ما نعرفه من الإعجاز في علم التفسير الى نهاية القرن الثالث أو بداية الرابع وذلك لأنه لم يصلنا من التفاسير التي أُلفت في القرن الثاني الا اسماؤها وقد اضطر المفسرون الى الكلام في الاعجاز لأن القرآن يتكلم على التحدي في عدة مواضع منها الآيتان (٢١ ، ٢٣) من السورة الثانية وهي سورة البقرة وحفظ لنا من الكتب التي أُلفت في القرن الثالث كتاب ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ) في ثلاثين مجلداً كبيراً وهو عظيم القيمة وهو معلمة ضمّت الأخبار المتعلقة بالقرآن في عهده وكان مثالاً احتذاه المفسرون المتأخرون كلهم . وهو يناقش هذه القضية أثناء تفسيره آية سورة البقرة في التحدي (س ٢ آية ٢١ ، ٢٣) ويتكلم عنها بصورة بسيطة لبس فيها تعقيد الكلاميين الذي نراه في التفاسير بعده ولا يأتي ببراهين غير التي قدمها القرآن نفسه ويكتفي بشرح هذه الآيات .

وجاء على أثره من المفسرين الأولين حسن بن محمد القمّي (٣٢٨ هـ) وقد بقي كتابه وهو يناقش القضية في نفس الموضع ولعل من المهم أن نلاحظ الفروق في مناقشة هذه المسألة خلال ثلاثة أرباع القرن .

فالقمي يتبع في مناقشتها طريقاً أقرب الى طريق المتكلمين منها الى طريق المفسرين ويستعمل كل الاصطلاحات الفنية في علم الكلام مما يدل على أنه متكلم ومفسر معاً أو على أن علم الكلام قد مازج روحه الى جانب علم التفسير على حين أن ابن جرير الطبري مفسر فقط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان من تلاهم من المفسرين أكثر اتباعاً لطريقة القمي منهم لطريقة الطبري في هذه القضية أحياناً . وكثيراً ما نراهم يستمدون براهينهم من علم الكلام ولم يكن عمل القمي إلا بداية لسلسلة طويلة ، فلم يمض زمن حتى خرج التفسير عن ميدانه في هذه القضية وأصبح ميداناً لمناقشات علم الكلام ونظرياته وصار كل جانب يسعى لإثبات نظريته من القرآن فاستنبطوا من لغة القرآن البسيطة الخالية من الفلسفة كل الأفكار المحتملة وسعوا للتوفيق بين الفلسفة اليونانية وآيات القرآن .

ومن أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز غير الطبري والقمي الراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) في مقدمة تفسيره المنشور في نهاية كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار الأسدآبادي المعتزلي (٤١٥ هـ) ، والزمخشري (٥٣٨ هـ) في « الكشاف » ، وابن عطية الغرناطي (٥٤٢ هـ) في تفسيره ، وفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) في تفسيره وغيره ، وبدر الدين الزركشي (٧٩٤ هـ) في كتابه البرهان في علوم القرآن[1] وجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) في الإتقان في علوم القرآن ، وابن كمال باشا (٩٤٠ هـ) في تفسير وصل به الى سورة الصافات ، وأبو السعود (٩٨٢ هـ) في إرشاد العقل السليم ، والألوسي (١٢٧٠ هـ) في تفسيره « روح المعاني » ، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار « من الجزء الثاني حتى العاشر » ، وطنطاوي جوهري في تفسيره « الجواهر » .

(يتبع) نعيم الحمصي

(١) هذا الكتاب غير مطبوع وهو موجود في المدينة وفي مصر راجع مجلة المعارف المجلد ١٨ تاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ م ص ٤١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتب مصورة
في خزانة المجمع العلمي العربي
— ١ —

اقتنى المجمع العلمي العربي حديثاً طائفةً من الكتب المصورة ينشر اليوم في مجلته قائمةً بأسمائها :

أجزاء من الوافي بالوفيات للصفدي :

وهي : الخامس والسادس والثامن والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر . ومجلدان لم يذكر لهما رقم . وصفها كما يلي :

الخامس : أوله ترجمة « آدم بن عبد العزيز » وآخره ترجمة « احمد بن سعيد » عدد أوراقه ١٧٤ ورقة . من جامعة اوكسفورد . مخروم الأول .

السادس : يبدأ بترجمة « احمد بن سلام » وينتهي بترجمة « احمد بن محمد » مخروم الآخر عدد أوراقه ١٤١ ورقة من جامعة اوكسفورد .

الثامن : أوله حرف الخاء « خاتون » وآخره « ابن السنينرة » وهو تام عدد اوراقه ١٩٧ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

الحادي عشر : اوله ترجمة « الحسن بن علي » وينتهي بترجمة « حويطب بن عبد العزى » واول من اسمه « حيان » . ناقص الآخر عدد اوراقه ١٥٩ ورقة من جامعة اوكسفورد .

الثاني عشر : يبدأ بترجمة « علي بن ادريس » وينتهي بترجمة « علي بن يعقوب » عدد اوراقه ٢٤٧ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني . وهو مخروم الآخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث عشر : يبتدئ بترجمة « زياد بن الأصفر » وينتهي بترجمة « سنقرشاه الأمير شمس الدين المنصوري » مذكور في آخره انه الجزء الثالث عشر . عدد اوراقه ١٧٩ ورقة من جامعة اوكسفورد .

الرابع عشر : أوله ترجمة « سُنَين ابو جميلة الضمري » وآخره ترجمة « ابو عباد كاتب المأمون » تام عدد اوراقه ١٤٨ من جامعة اوكسفورد .

الخامس عشر : في المجمع ثلاث مجلدات من هذا الجزء :

أولها : يبتدئ بترجمة « سعيد بن علي ... بن حديدة . » وينتهي بترجمة « صاعد بن الحسن — ابو العلاء اللغوي — » وهو جزء تام جاء في نهايته : (الجزء الخامس عشر من كتاب الوافي بالوفيات يتلوه ان شاء الله ابن الحسن الدمشقي والحمد لله رب العالمين ....) يقع في ١٨٨ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

وثانيها : تام يبتدئ بترجمة « عبادة بن الصامت » وقد جاء في أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين على كل حال اللهم أعن » وينتهي بترجمة « عبد الله بن محمد البادرائي الشافعي » عدد أوراقه ١٤٤ ورقة من مكتبة اوكسفورد .

وثالثها : كتب بخط مغربي يبدأ بترجمة « عبادة بن الصامت » وينتهي بترجمة عبد الله بن محمد ... يقع في ٩٨ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

السادس عشر : يبدأ هذا الجزء بترجمة « عبد الله بن عمر » وينتهي بترجمة « عبد السلام بن سعيد » وهو تام يقع في ١٠٥ ورقات من المكتبة الأهلية في باريز .

السابع عشر : أوله ترجمة « عبد السلام بن علي » وآخره ترجمة « عبيد الله بن الفضل » وهو تام في ١٠٧ ورقات من المكتبة الأهلية في باريز .

وهناك جزآن فيمن اسمه (محمد) . يبتدئ أولها بترجمة « محمد بن طارق » وينتهي بترجمة « محمد بن عمار المهري الأندلسي » يقع في ١٧٨ ورقة من مكتبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المتحف البريطاني . ويبتدئ ثانيها بـ « محمد عمر بن بن عبد العزيزي ابو بكر بن الفوطية » وينتهي بترجمة « محمد بن يوسف بن عبد الله شمس الدين الشاعر الخياط الدمشقي » في ١٥٣ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

مرآة الزمان لابن الجوزي :

في المجمع صورة لتسعة أجزاء مختلفة من هذا الكتاب وصفها كما يلي :

المجلد الأول : يبدأ بمقدمة للكتاب أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ... » ثم تبدأ فصول الكتاب في الصفحة الثانية منه وينتهي بفصول « ذكر نبينا ﷺ » فصل في ذكر نسبه وأجداده ، وفصل في ذكر أبيه عبد الله . يقع هذا الجزء في ٢٥٦ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد الثاني : ناقص الأول والآخر وقد سقط منه ثلاث وعشرون ورقة من وسطه من الصفحة ٢٨٨ حتى الصفحة ٣١١ . يبدأ بآخر السنة الخمسين وينتهي بالسنة التاسعة والثمانين للهجرة بترجمة عمران بن حطان السدوسي الخارجي ، من المكتبة الأهلية بباريز يقع في ٣١٤ ورقة .

المجلد الثالث : يبتدئ بترجمة الربيع بن يونس ، وحوادثه بين سنة ١٧٦ و ٢٠٢ للهجرة . ينتهي بترجمة « عاصم بن صهيب » وهو مخروم من أوله وناقص من آخره . عدد أوراقه ١٥٣ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الرابع : تقع حوادث هذا الجزء بين السنة التسعين بعد المائة والسنة الحادية والثمانين بعد المائتين ، تام . يبدأ بالكلام على يحيى بن خالد . يقع في ٢٣١ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز . وهو الجزء السادس من مرآة الزمان كما نص في آخره .

المجلد الخامس : تقع حوادثه بين السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والسنة الثامنة والسبعين بعد المائتين أوراقه ٢٥٥ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلد السادس : يبدأ بحوادث سنة ٢٨٢ للهجرة وينتهي بحوادث سنة ٤٦٠ ستين بعد الأربعمائة أوله «وفي السنة التاسعة والسبعون بعد المائتين» وآخره : فصل السنة الستون وأربعماية . أوراقه ٢٦١ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السابع : ورد فيه حوادث السنة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمائة حتى السنة الأربعمائة وهو الجزء السادس عشر من المرآة . تام في أوله «ذكر ما جرى بين أولاد ناصر الدولة» وينتهي بآخر حوادث السنة الأربعمائة بالكلام على «ابو عبد الله القمي» أوراقه ٢٤٦ ورقة من المكتبة الأهلية بباريز .

المجلد الثامن : وهو القسم الأول من الجزء الثاني عشر من المرآة تام يبدأ بحوادث السنة الأربعين والأربعمائة وينتهي بحوادث السنة السابعة والستين والأربعمائة أوراقه ١٦٠ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد التاسع : وهو القسم الثاني من الجزء الثاني عشر من المرآة ، مخروم آخره يبتدئ بحوادث السنة الثامنة والستين والأربعمائة وينتهي بحوادث السنة السابعة عشرة والخمسمائة للهجرة . عدد أوراقه ١٥٥ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المحمدون من الشعراء للقفطي :

تام . جاء في صفحته الأولى من المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . الحمد لله الذي أدب أشرف خلقه بأحسن الآداب ... ثم بدأ في الصفحة التالية بترجمة «محمد بن احمد الرقي» حرف الألف ... وينتهي الكتاب بترجمة «محمد بن سعيد بن محمد ... البغدادي .. المعروف بابن الرزاز . عدد أوراق هذا المجلد ١٣١ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

خريدة القصر للعماد الكاتب الاصفهاني :

في المجمع صور لثمانية أجزاء من هذا الكتاب وصفها كما يلي :

المجلد الأول : يبتدئ بمقدمة المؤلف وهو الجزء الأول من الكتاب يقع في ١٩٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز . تام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلد الثاني : يبتدئ بترجمة « المهذب ابو الحسين احمد بن منير الطرابلسي » وينتهي بترجمة « الفقيه ابو بكر المحيرقي » . وقد جاء في آخره ما نصه : (وهذا آخر ما وقع إلي من شعراء اليمن الى آخر سنة اثنتين وسبعين والحمد لله رب العالمين .... ويتلوه القسم الرابع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر) . وهذا الجزء مجلد في قسمين يقع الأول في ١٣٥ ورقة ويقع الثاني في ١٥٤ ورقة . من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الثالث : ناقص من أوله . يبتدئ بترجمة « ابو الحسين العسكري المصري » وينتهي بترجمة « رجل من عسقلان » . يقع هذا الجزء في ٢٠٣ ورقات . من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الرابع : يبتدئ بترجمة « بن ذو البراعتين تاج اصفهان » وأغلب هذا الجزء في ترجمة القاضي ابي بكر الارجاني . عدد اوراقه ١٤٠ ورقة من مكتبة جامعة اوكسفورد .

المجلد الخامس : وهو الجزء الثالث من الخريدة أوله تتمة ترجمة ابن الخازن البغدادي وآخره ترجمة الحسين بن ثابت . يقع هذا الجزء في ١٩٢ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز

المجلد السادس : وهو الجزء الحادي عشر من الخريدة كما جاء في أوله . يبتدئ بباب في ذكر محاسن فضلاء جزيرة صقلية ، وينتهي بترجمة « ابو الحسن جعفر ابن ابراهيم التّرقي » . وهو تام ، أوراقه ١٩٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد السابع : أوله « ابن خفاجة الاندلسي » وآخره ترجمة « ابن المصيصي الأندلسي » وهو جزء تام عدد أوراقه ٩٥ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الثامن : وهو نسخة ثانية عن المجلد السابع الذي سبق ذكره . خطها جيد جميل بخلاف سابقتها وليس فيها اختلاف عن تلك . أوراقها ٢١٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قطب السرور في أوصاف الخمور :

لأبي اسحق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم . وهو كتاب طريف يقع في جزأين بـ ٢٤٧ ورقة ، من مكتبة المتحف البريطاني .

تاريخ داريا :

كتاب يبحث في تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين تصنيف القاضي ابي علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني الداراني . يقع في ٣٧ ورقة وقد طبعه المجمع العلمي العربي . وهو من مكتبة المتحف البريطاني .

فاكهة المجالس وفكاهة المجالس :

لأحمد بن عبد الدايم المقدمي يقع في ٢٣٦ ورقة اوله المقدمة للكتب وهو مختار من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر . وآخره ما نصه : آخر المجلدة الأولى من المنتقى يتلوها في الثانية عن كعب الأحبار قال خرج ابو يعقوب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي آله وسلم . من مكتبة جامعة اوكسفورد .

الجزء الخامس من كتاب البرق الشامي :

لمحمد بن محمد بن حامد . وفيه سيرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . يقع في ١٣٨ ورقة من مكتبة جامعة اوكسفورد . وقد ورد في آخره : تم الجزء الخامس من البرق الشامي بحمد الله ومنه ... يتلوه في الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين .

المحكم في اللغة لابن سيده :

تام من أوله يبتدئ بالبسملة وهو المجلد العاشر من كتاب المحكم كما نص في آخره يقع في ٣٩٣ ينتهي (بباب الحمامي) من مكتبة المتحف البريطاني .

(يتبع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعريف والنقد

الأسرة في التشرع الاسلامي

وضع هذا الكتاب الأستاذ عمر فروخ : الدكتور في الفلسفة ، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق ، وعضو جمعية البحوث الاسلامية في (بومباي) . يقع الكتاب في مئة وتسعين صفحة من القطع الكبير .

مهّد المؤلف لكتابه ، بكلمة عنوانها : « نطاق هذا الكتاب » وعقّب بعدها بـ « مصادر هذا الكتاب » ثم بـ « الاجتماع الانساني أساس التشريع » وجعل هذا البحث يجاري أربعاً . بدأها بالمجرى الأول وهو (السومريون — الأكاديون) الى أن انتهى بالمجرى الرابع وهو (أوربه) ثم « الشرع العربي في العصر الجاهلي والتشريع في الاسلام » فذكر مصادر هذا الشرع ، والمذاهب وأصحابها . وبعد ذلك يتناول أحوال الأسرة (وهو موضوع كتابه) من زواج وما يتصل به من : مهر ونسب وبنوة وحضانة ونفقة . والولاية ، والوصاية ، والبلوغ ، والرشد ، والحجر ، والهبة ، والوصية ، والمفقود ، والنشوز ، والطلاق ، والارث ...

قال في « كلمته الأولى » : ليس هذا الكتاب للعلماء ولا للباحثين ولا للقضاة أو المحامين ، ولكنه للقارئ العام الذي انقطعت الصلة بينه وبين موضوع التشريع للأسرة وأحوالها . انني أعتقد ان كثيراً من المشاكل العائلية ، التي تنتهي الى المحاكم ، ناشئ عن جهل الناس لحقيقة « التشريع العائلي » . ولا ريب في أن معرفة هذا التشريع عامل أساسي في اسعاد الأسرة . من أجل ذلك قصدت في هذا الكتاب الى بسط مبادئ التشريع في الاسلام ، بأسهل ما يمكن من اللغة ، وأوضح ما يمكن من البيان ، مع الاستغناء عن التطويل ما أمكن » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد صدق المؤلف في ما قال ، ووفق في ما قصد اليه ، فجاء كتابه سهلاً واضحاً ومفيداً ، اذا لم يكن للباحث والعالم ـ على ما قال في كلمته ـ فان القاضي والمحامي اللذين أخرجهما ـ تواضعاً ـ من نطاق كتابه ، يحتاجان اليه أيضاً في المراجعة العاجلة ، والنظرة السريعة ، فكيف بالقارئ العام ، الذي وضع المؤلف كتابه له .

وفي الكتاب آراء قويمة يحسن أن يلتفت اليها ، وان يتدبرها أولو الألباب ، بالعمل لا بالقول . فقد ذكر المؤلف في ما ذكره : « ان للتشريع في الاسلام فائدة اجتماعية عملية .. وان الدين جاء لاسعاد الانسان ، فيجب ان يكون التشريع سبيلاً من هذه السبل التي تؤدي أيضاً الى هذا الاسعاد ، والتشريع في الاسلام لم يكن قاسياً جامداً ، بل كان فيه مذاهب تدرأ عن الانسان الحدود ما أمكن .. » .

ويقول في محل آخر : « فالشرائع اذن وسيلة الى غايات ، لا غاية فى نفسها : انها سبيل الى اقرار العدل بين الناس ، لا أداة لاستعبادهم ، ثم هي مبنية على العقل والمنطق ، لا على الاستبداد والهوى » .

ولعله كان يكون من الأسهل على « القارئ العام » الذي وضع المؤلف كتابه له ، لو انه لم يحشر فيه بعض الآراء المختلفة ، والمذاهب المتغايرة ، فلا يعرف هذا « القارئ » بأيها يأخذ ، وعلى أيها يعتمد . واذا كان لا بد من ذكر شيء من هذه الأنظار المتباينة ، فيشير اليها في الحاشية . تخفيفاً عن ذهن « القارئ العام » ويختار له في المتن الرأي الراجح ، الذي يساير الزمن الحاضر .

وبعد ، فانا نرجو لهذا الكتاب الرواج الذي يستحقه ، وان تعتمده المدارس تعميماً لمعرفة ما يسمونه اليوم بـ « الأحوال الشخصية » ومن أجل المعلومات الاجتماعية والمدنية أيضاً .

شكر الله للأستاذ عمله في تأليفه ، ووفقه الى ما فيه خدمة أمته ومصلحتها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب تاريخ افرنج

ألّف هذا الكتاب باللغة الفارسية ، رشيد الدين فضل الله ابي الخير [1] ، وهو جزء من تاريخه المطول « جامع التواريخ » وعني بنشره وتصحيحه ، ونقله الى اللغة الفرنسية « كارل يان K, Yahn » الأستاذ في جامعة « اوترخت Utrecht » وطبعه في « لَيْدَنْ Leiden » من هولنده سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥١ م . والنسخة الفارسية تقع في ست وخمسين صفحة . والفرنسية في ست وسبعين . والطبع متقن ، والورق جيد .

قدم الناشر الكتاب ، بكلمة ذكر فيها باظهر ، أولئك الذين عاونوه في اخراج هذا التاريخ وترجمته وتصحيح مسوداته . ثم مهد له بمدخل ذكر السبب الذي من أجله وضع ابو الخير كتابه ، وعدّ عمله هذا من المحاولات الأولية ، بل المحاولة الأولى في وضع تاريخ عام . ورشيد الدين المتوفى سنة ١٣١٨ م رجل من رجال الدولة المغولية ، ومؤرخ من كبار مؤرخيها لعهدها . و « تاريخ افرنج »

---

(١) هو رشيد الدين فضل الله الطبيب والوزير من رجال الفرس المؤرخين . ولد في همذان واشتغل في التاريخ والطب وكان طبيب آل جنكزخان . ولي الوزارة أيام غازان ثم قتل بأمر أحد خلفائه . وهو مصنف التاريخ المشهور بجامع التواريخ . وهو تاريخ كبير في دولة جنكزخان وأولاده . ذكر فيه انه لما شرع في تبييض الكتاب ، مات غازان سنة ٧٠٤ . وقام مقامه ولده خدابنده محمد . فأمره باتمامه ، وادخال اسمه في العنوان ، وبالحاق أحوال الأقاليم ، وأهلها ، وبان يجعل جامعاً لتفاصيل ما في كتب التواريخ . وامر من تحت حكمه من أصحاب تواريخ الأديان والفرق ، بالامداد اليه من كتبهم . وأمر بان يجعله مذيلاً بكتاب صور الأقاليم ، ومسالك الممالك . فكتب أحوال الدولة الجنكزية ، وأورد الترك مفصلاً في مجلد . وذكر خلاصة الوفيات في مجلد آخر . وأورد صور الأقاليم في مجلد آخر — على أن يكون ذيلاً له — ونقل أخبار كل فرقة على ما وجد في كتبهم بلا تغيير .. وهذا الكتاب كتب بالفارسية ، ومنه نسخة في المكتبة الملكية بباريس . وترجم منه كاترمير القسم المختص بالمغول والفرس الى الفرنسية . وطبع سنة ١٨٣٦ .

عن دائرة المعارف للبستاني

عن كشف الظنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتناول تاريخ الغرب «الفرنجة وباباواتها وأباطرتها» وأديان هذه الشعوب وعقائدها ، وحدود الامبراطورية الأرمنية ، ومدائنها . وبلاد الفرنجة ، وبحورها وجزائرها . وخصائص هذه البلدان وطبائع أهليها .

ويرى الناشر ان المصادر التي اعتمدها المؤلف في كلامه على هـذه الشعوب وأحوالها ، هي بعض التقاويم الغربية ، التي وضعت في القرن الثالث عشر . وفيها ما كان نقل الى كثير من اللغات الأوربية ، فاشتهر أمرها ، ووصل بعضها الى المؤلف ، فاطلع عليها ، أو عرف ما فيها .

يبدأ رشيد الدين كتابه بوصف بلاد «الفرنجة» فيقول : بلاد واسعة كبيرة ، واقعة في الشمال الغربي من العالم . يمتد بحر الروم حواليها من الغرب الى الشرق ، فيكون حدها الجنوبي ما بين خنجة والشام ، ويحدها من الشمال الروس والترك والصقالبة ، ومن الشرق بلاد يونان ، وأما من الغرب فيحدها البحر الغربي المعروف بالأوقيانوس . وأول هذه البلاد للقادم من الشرق هي بلاد «المانية» ثم «فرنسة» وهي في الوسط ثم «الأندلس» .

ورومية العظمى ، هي عاصمة «الفرنجـة» أنشأها «ساتورنوس Saturne» المعروف بـ «نمرود» . ويمضي ابو الخير يتحدث عن الخرافة الشائعة في تأسيس هذه المدينة ، ثم يصف البلاد ، دولة دولة ، ويذكر العامر من مدنها ، وحكامها ، وألقابهم ، ومن منهم يتولى الحكم بالوراثة ، ومن يتولاه بالانتخاب . ثم يجيء الباب الرابع من القسم الثاني ، وفيه الكلام عن مولد عيسى ، وما رافقه ، وعقبه من أحداث ، ثم من تولى الملك ومن تولى البابوية ، مبتدأ هكذا :

تاريخ الامبراطور «أوغست» المعروف بـ «اوكتيفيانوس Octavien» ملك اثنتين وأربعين سنة قبل المسيح . وهو أول من لقّب منهم بالقيصر . وكان رجلاً عاقلاً شجاعاً . ومدة ملكه كلها خمسون سنة كاملة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويستمر في هذا : يذكر الحاكم ، ومن عاصره من الباباوات ، واحداً واحداً ، والمدة التي تولى كل منهما فيها من السنوات والأشهر حتى الأيام أحيانا . الى الامبراطور ادولف « دودلفوس قيصر » وهو الذي حكم تسع سنوات ، وستة أشهر ، وذبح مئتين وخمسين ألفاً من المسلمين سكان مدينة « لوشرة[1] Lucera » انتقاماً لما كان من فتح المسلمين لمدن سورية الساحلية وتخريبهم كناش تبرز في بلاد ايران على عهد غازان خان .

وينتهي الكتاب في سنة خمس وسبع مئة للهجرة ، وهي السنة الأولى من ولاية البابا (بنوكتوس Bénoît) .

فنشكر للناشر فضله وعنايته بهذا الكتاب ، ونود لو نقل الى العربية ونشر فيها .

كتاب

أدب الاملاء والاستملاء

ألف هذا الكتاب عبد الكريم بن محمد السمعاني . واعتنى بتصحيحه وبنقله الى الألمانية ، الأستاذ « مكس ويسويلر Max Weisweiler » وطبعه طبعاً جيداً في مطبعة بريل بمدينة « ليدن Leiden » سنة ١٩٥٢ .

واسم الكتاب ، يدل على موضوعه دلالة واضحة ، أوجزها المؤلف في مطلع مقدمته بقوله :

« ... أما بعد فقد سألتني يا أخي رعاك الله وحفظك عن أدب الاملاء والاستملاء ، وما يحتاج اليه المملي والمستملي من التخلق بالأخلاق السنية ، والاقتداء بالسنن النبوية ، وشرطت علي أن يكون مختصراً ، فان الهمم قاصرة ، واعلام الحديث مندرسة ، والرغبات فاترة . فاستخرت الله سبحانه وتعالى ، وشرعت في جمعه ، واقتصرت على ايراد ما لا بد منه ، وما لا يستغني عنه المحدّث الأملي ،

(١) من مدن ايطالية ، « حاضرة فوجيه Foggia » سكانها اليوم يزيدون على أربعة عشر الفاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والطالب الذكي ، ويحتاج اليه غيرهما ممن يريد معرفة آداب النفس ، واستعمالها في الخلوة والمجالس » .

ويمضي المؤلف في أحاديثه بالكلام المسند ، والأخبار المتصلة ، على الطريقة التي جرى عليها بعض المؤلفين المتقدمين ، حتى في موضوعات تافهة يستغنى فيها عن الإسناد والسلسلة والمنعنة .

وبعد أن ينوه المؤلف بقيمة الاملاء ، ومن كان يعقد له مجلساً عاماً من الخلفاء وغيرهم ، « ينتقل الى أدب المملي » فيجعل له فصلاً خاصاً ، يصف فيه ما ينبغي له من كريم الخُلق ، وكمال الهيئة ، وحسن الزينة ، وصدق الوعد ، واصلاح أموره التي تجمّله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين ، وأين يكون مجلسه ، وكيف يكون صوته ، وأن لا يحدّث الا من كتابه ، فان الحفظ خوّان . وان لا يغرب في حديث ، فشرُّ العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر . وان لا يروي ما لا يحتمله عقول العوام . وان يفسّر ما يحدّث به ، فتفسير الحديث خير من سماعه . ولا يفسر الا ما عرف معناه ، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه . ويكره له املال السامع واضجاره ، بطول الاملاء واكثاره . وان يختم المجلس بالحكايات والنوادر ، ثم بالأناشيد والأشعار .

ويذكر ما يجب من « المعارضة بالمجلس المكتوب واتقانه ، واصلاح ما أفسد منه زيغ القلم وطغيانه [1] » .

وبعد ذلك « فصل في اتخاذ المستملي وأدبه » والمستملي هو الذي يبلّغ الاملاء عن المملي الى من بعُد عن الحلقة . ويستحب للمستملي ان يقعد على موضع مرتفع مثل دكّة او كرسي ، فان لم يجد استملى قائماً ، لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين ، وينبغي له أن يكون جَهْوري الصوت ، وأفصح الحاضرين لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وأحسنهم عبارة ، وأجودهم أداء .

(١) وهو ما نسميه اليوم بـ « المقابلة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم «فصل في آداب الكاتب» ووصف ما يحتاج اليه من آلات النسخ : «المحبرة» و «القلم» و «المقلمة» و «السكين» و «الحبر والكاغد» وما يتعلق به ، وبالخط وطريقته وشروطه .

وفي الكتاب كثير من المقطوعات المنظومة المقفاة ، وهي في جملتها الى النظم أقرب منها الى الشعر . كقول القائل في إعارة الكتب .

لا تمنعنّ الأهل كتبك واغتنم في كل وقت أن تعير كتابا
فمعيرها كمعير ماعون فمن يمنعه لاقى الويل والأنصابا

وأشار الناشر في الحاشية ، الى ان في نسخة من نسخ الكتاب «الأوصابا» مكان «الأنصابا» ولسنا ندري ما الذي حمله على ترجيح «الأنصاب» على «الأوصاب» .

ومن الحق أن يُشكر الناشر على جهده ، وعنايته بهذا الكتاب ، واخراجه هذا المخرج الحسن الشائق .

عارف النكدي

تاريخ الحافظ ابن عساكر[1]

مررت أثناء مطالعتي تاريخ ابن عساكر على كلمات يسيرة وقع فيها شيء من التحريف فأحببت المشاركة في بيان وجهها الصحيح ، في رأيي ، وقد يكون رأيي خاطئاً ـ تلبية لدعوة الأستاذ النجد الذي أبت له نزعته العلمية المجردة من كل شائبة إلا أن يقول : (وهذا التاريخ من مفاخر التراث العربي فلينفضل من يجد فيه خطأً أو خللاً بتصحيحه فانما هو ملك للمسلمين والعلماء عامة) .

١ ـ في صفحة ٤٣٤ (وخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حين خرج أسامة حتى بلغ تقمًا حذاء نجد وهربت الأعراب بذراريهم) وحشى الأستاذ النجد

(١) من مقالة للأستاذ حمد الجاسر في جريدة «البلاد السعودية» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على (نقع) قائلاً (بالفتح ثم بالسكون موضع قرب مكة في جنبات الطائف ، معجم البلدان ٤/٨٠٥) وقد رجعت الى المعجم حينما استشكلت كلمة (نقع) فلم أجد فيه في هذه المادة سوى : (النقع موضع قرب مكة في جنبات الطائف قال العرجي يذكره :

لحيني والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأت عيناي منها أسيل الخد من خلق عميم
وعيني جؤذر خرق وثغراً كلون الأقحوان وجيد ريم
حنا أترابها دوني عليها حنو العائدات على السقيم

لم يزد ياقوت في المعجم على هذا . ولكن أين النقع الذي في جنبات الطائف من المكان الذي وصل اليه ابو بكر حذاء نجد ؟ أرى ان الاسم مصحف وصوابه : (بقعاء) قال ياقوت (في المعجم ج ٢ ص ٢٦١) : وبقعاء الموضع الذي خرج اليه الصدّيق رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة وهو تلقاء نجد ، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة . قال الواقدي : وبقعاء هو ذو القصة وكذا قال السمهودي مؤرخ المدينة في وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٢٦٤) .

٢ — وفي صفحة ٤٢٦ ـ في الكلام على (أبنى) قال الحافظ (وأهل الشام يقولون يبنى بالياء وكلا القولين صواب وقد تبدل الألف ياء والياء همزاً في مواضع كقولهم أحمد ومحمد ، وأساف ويساف ، وأخامر ويخامر) ، ولعل الصواب في كلمة (محمد) يحمد . وفي كلتي (اخامر ويخامر) احامر ويحامر إذ يحمد جد قبيلة ، وأحامر جبل ومواضع في نجد وفي الحجاز (راجع المادتين في معاجم اللغة ومعاجم الأمكنة ، وانظر بحث ابدال الهمزة ياء في اصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٨١ وفي المزهر ج ٢ ص ٤٦٣ تجد خمسة عشر اسماً من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الباب ؛ وليس منها ما ذكره ابن عساكر هنا(*) .

٣ — وفي ص ٤٢٧ (ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود راية ابي بكر فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال والله لا تنزل ولا أركب وما أن أغبر قدمي في سبيل الله) كذا وردت كلمة (يقود راية أبي بكر) والمتبادر (راية ابي بكر) فلعل ما هنا تطبيع .

٤ — تكرار اسم المحدث المعروف عبد الله بن لهيعة المصري المتوفى سنه ١٧٤ (على ما في الخلاصة) في الكتاب وقد ضبطت كلمة (لهيعة) بفتح اللام واسكان الهاء وفتح الياء والعين في ستة مواضع في الصفحات (٤٠٥/٤٠٦/٤٧٩/٤٨٠/ ٥٢٨/٦٠٠) مع أن المعروف في كتب الرجال في ضبطها فتح اللام وكسر الهاء واسكان الياء ويدل على هذا قول صاحب القاموس المحيط (اللهيعة الغفلة كاللهاعة ، والكسل والفترة في البيع حتى يغبن وعبد الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر محدث وثق) وكذا في شرحه التاج . وقد ترجم الحافظ الذهبي ابن لهيعة في الميزان (ج ٢ ص ٦٤) .

٥ — وفي صفحة ٣٩٣ (وزعموا والله أعلم ـ أن يعلى بن منبه قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة) . كذا جاء اسم (منبه) بالنون والباء المشددة . والصواب (منية) بالميم بعدها نون ساكنة فياء مثناة تحتية فتاء مربوطة ـ وهذا اسم أمه او جدته ـ واسم أبيه (أمية) وقد وقع هذا التصحيف لبعض كبار العلماء كابن عبد البر في الاستيعاب ولكن الحافظ ابن حجر نبه على ذلك فقال في الاصابة (يعلى بن أمية بن عبيد .. وهو الذي يقال له يعلى بن منية بضم الميم

(*) ولا تزال هذه اللهجة ـ لهجة إبدال الهمزة ياءً ـ مستعملة عند بعض القبائل العربية في عهدنا الحاضر ، فبنو أوس (فخذ من بني الحارث) يدعوهم قومهم ، ويدعون أنفسهم (بني يوس) ، والكلب ؛ القبيلة القديمة المعروفة تسمى (يكلب) ، ووادي ارنه يسمى (يرنه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسكون النون وهي أمه وقيل أم أبيه) ذكر هذا في حرف الياء في القسم الأول ، ثم ذكر في حرف الميم (منبه روى عن النبي ﷺ في الذي أحرم بعمرة وعليه جبة وهو متخلق ، هكذا أورده ابن عبد البر وتعقبه ابن فرحون فقال هذا وهم ظاهر والحديث في الصحيحين ليعلى بن أمية وهو ابن منية بسكون النون بعدها تحتانية مثناة وهي أمه او جدته وأمية أبوه وقد ذكره ابو عمر بن عبد البر على الصواب في يعلى) .

٦ — وفي صفحة ٤٠٣ قال الأستاذ المنجد عن قبيلة بني عذرة (من بني عمران من قضاعة طرفة الأصحاب ٥٦) وطرفة الأصحاب ليس من الكتب المحررة المحققة . وقد نسب ابن الكلبي والهمداني بني عذرة بأنهم بنو (عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف) وذكر ان لالحاف هذا ثلاثة ابناء عمران وعمرو واسلم . فعدا عذرة من بني أسلم (انظر المقتضب من جمهرة النسب ورقة ٩٣/١٠٥ نسخة دار الكتب المصرية . والاكليل ج ١ ص ١٥ نسختنا الخطية) .

٧ — وعلى ذكر قبيلة عذرة رأيت الأستاذ المنجد ذكر في صفحة ٤٣٢ عند ايراد المؤلف اسماء الذين كتب اليهم الصدّيق لمحاربة المرتدين ومنهم سعد هذيم فكتب ابو بكر الى معاوية العذري للقيام بحربهم فاختار الأستاذ المنجد (المدوي) وضبط العين بالفتح والواو بالسكون ضبط قلم وأشار في الحاشية الى ان في نسختين من الأصل وفي الطبري (العذري) وقال (وهو كما أثبتنا في الاصابة ٦/١١٧) وقد رجعت الى الاصابة فوجدت فيها (ج ٣ ص ٤١٧ طبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨) ما هذا نصه (معاوية العذري ذكر سيف في كتاب الردة ان ابابكر كتب اليه يأمره بالجد في قتال أهل الردة) . واذن فاتفق نسختان من الأصل وتاريخ الطبري والاصابة على كلمة (العذري) ومعاوية من سعد هذيم وسعد هذيم من عذرة فتكون هذه الكلمة هي الصواب .

٨ — وأرى ان صحة كلتي (سواكة) و (العرير) الواردتين في صفحة ٤٦٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(سكاكة) و (الغوير) لوجود هذين الموضعين في الجهة التي سلكها خالد رضي الله عنه في طريقه الى الشام ولتشابه الكلمتين في الكتابة . ففي المعجم (٥/٩٧) سكاكة احدى القريات التي منها دومة الجندل وقال (ج ٦/٣١٦) الغوير ماء لكلب بارض السماوة بين العراق والشام .

٩ — يرى الأستاذ محمود شاكر ان صحة بيتي عمرو بن الطفيل الدوسي الواردين صفحة ٥٤٠ هكذا :

قد علمت دوس بشطي تغلم الخ .

وأرى ان الصواب ما أورده المؤلف الا في كلمة (يشكر) فصوابها (شكر) اسم قبيلة من قبائل الأزد — دوس من الأزد والشاعر ازدي — وأرى أيضاً ان تقرأ باسكان (الميم) .

أما الموضع المعروف باسم تغلم فقريب من المدينة — وبعيد جداً عن منازل دوس الذين لا يزالون في أمكنتهم القديمة — سراة الحجاز جنوب الطائف بمسيرة أربعة أيام .

وأقف من كلمتي هذه عند هذا الحد آملاً أن يوفق الله المجمع للاسراع بطبع بقية المجلدات التسعة والسبعين . ولا يفوتني ان أوجه شيئاً من العتب (عتب الأخ على اخيه للأستاذ احمد عبيد واخوانه الذين طبعوا من مختصر هذا الكتاب العظيم سبعة أجزاء ثم وقفوا ، وكلمة فيها شيء من العتب أيضاً أوجهها لصديقنا الأستاذ الكريم السيد صلاح الدين المنجد على ما جاء في مقدمة الكتاب من قوله : (ابن الجوزي حنبلي يكره الأشاعرة والشافعية) ص ٦ وقوله (ولعل حنبلية ابن الجوزي هي السبب في غمزه وتنقصه) ص ٣٧ . وقوله (فالتبيين في الحقيقة ، صدى لافتراء الحنابلة ، وتعصبهم على الأشاعرة والشافعية . وقد كان الشريف عبد الوهاب الحنبلي ألف في الرد على الأشعري ، فجاء الحافظ يدافع عنه) ص ٢٩ .

ما كان التمذهب بمذهب الامام احمد بن حنبل — رحمه الله — سبباً في غمط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الناس حقهم ولا في بغض علماء الاسلام ، وجهابذته الأعلام ، وما كان الحنابلة كلهم ذوي افتراء وتعصب على الشافعية ، ولا على صحيحي المعتقد من الأشاعرة . وما كان يسوغ الاطلاق والتعميم بمجرد قول الواحد أو الفئة القليلة وابن الجوزي والله يعفو عنا وعنه — قد ألف كتاباً في الرد على عالمين جليلين من علماء مذهبه سماه (الباز الأشهب المنقض على مخالف المذهب) فهل يسوغ مع هذا القول بأنه يكره الحنابلة ؟؟ وكثير من محققي الحنابلة يردون كثيراً من أقواله ، وخاصة في الصفات . بل كثير من الشافعية ينبزهم خصومهم بالانحراف ، لميلهم الى آراء المحققين من علماء الحنابلة — والامام ابو الحسن الأشعري رحمه الله صرح في كتابه (مقالات الاسلاميين) انه على مذهب الامام احمد بن حنبل ، في باب الاعتقاد . ولا يجهل أحد من العلماء ما بين شيخ الاسلام ابن تيمية وبين كبار شافعية وقته من الصلة القوية والصداقة كالحافظ المزي ، والحافظ الذهبي وابن كثير وغيرهم . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا) وحيا الله المجمع العلمي العربي ، وحيا الله رجاله العلماء العاملين .

(الرياض) حمد الجاسر

(استدراك)

أولاً — ورد في الصفحة ٢٠٢ السطر ١٧ من الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين من هذه المجلة كلمة « كاتب العدل » وورد في الصفحة ٢٠٣ السطر ١٢ كلمة « كتاب العدل » والصواب : « الكاتب العدل » و « الكتاب العدل » .

ثانياً : ورد خطأً في فهرس الجزء الثاني من المجلد نفسه أيضاً أن كاتب مقال « التشريع اللبناني واحكام الوصية العامة » هو الدكتور عمر فروخ والصواب : الدكتور صبحي المحصاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الرياض الناضرة ، والحدائق النيرة الزاهرة)

« في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة »

« تأليف عبد الرحمن السعدي طبع بمطبعة الامام بمصر في ٢٠٠ صفحة »

مؤلف الكتاب من علماء نجد المعاصرين وموضوعه ديني أخلاقي افتتح بسرد ترجمة المؤلف بقلم أحد تلاميذه . ثم يقول المؤلف (أما بعد فهذه كلمات طيبات نافعات . ومقالات متنوعة في المهم من أصول الدين وأخلاقه وآدابه) .

والفصول الأولى من الكتاب تضمنت أصول العقائد ثم أصول العبادات ثم فصولاً في الأخلاق كالصدق والأمانة والحث على المشاورة وواجبات أهل العلم في ما بينهم وبين الناس ودلالة القرآن والسنة على العلوم العصرية .. وان النظم الاسلامية فيها صلاح الأحوال وفصلاً في الرياضة . وفي بحث الرياضة هذا قال المؤلف : (أما الرياضة البدنية فبتقوية البدن بالحركات المتنوعة . ولكل قوم عادة واذا تدبرت الفوائد الشرعية في الحركات البدنية عرفت أنها مغنية عن غيرها فحركات الطهارة والصلاة الى آخره .

أقول لا أرى قول المؤلف هذا في الاستغناء عن الرياضة البدنية بحركات العبادات ـ سديداً ولا موافقاً للواقع ولا سيما اذا لاحظنا قوله (ﷺ) اذا أتيتم الصلاة فأتوا وعليكم السكينة والوقار الى آخر الحديث (أو كما قال) والرياضة البدنية النافعة لا سكينة معها . ولا وقار فيها كما لا يخفى .

وقد ختم الكتاب بفصل تضمن آداباً منثورة حسنة الفائدة منها قوله : (من الغلط الفاحش الخطير قبول قول الناس بعضهم ببعض . ثم يبني عليه السامع حباً وبغضاً . ومدحاً وذماً . فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة . وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية أو لها بعض الحقيقة . فمنت بالكذب والزور خصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل أو عرف منهم الهوى فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع وبهذا يعرف دين العبد ورزانته وعقله انتهى .

وقد أحسن المؤلف في ما قال في هذا الفصل وغيره من فصول الكتاب جزاه الله خيراً .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة »

تأليف الشيخ الإمام زين الدين ابي الفرّج عبد الرحمن، بن شهاب الدين احمد، ابن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

عُني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه هنري لاووست وسامي الدهان

الجزء الأول سنة ٤٦٠ — ٥٤٠ هـ

عُني كثير من مؤرخي العصور والمجتمعات، بوضع كتب التراجم والطبقات، فمنهم من رتبها على سني الولادات أو الوفيات مثبتاً الأول فالأول، ومنهم من نسقها على حروف المعجم، فبدأها بالألف وختمها بالياء؛ ومن هذه الطبقات التي وضعها الثقات المؤرخون طبقات الحفاظ، والقراء، والمفسرين، والمحدثين (وألف هؤلاء في الضعفاء والمدلّسين) ومنها طبقات فقهاء المذاهب الأربعة على تقادم الزمن وتراخيه؛ وطبقات الحكماء والأطباء والأدباء والنحاة. ومنها طبقات النساء وأعلامهن. والناظر في كتب الطبقات والتراجم والمعاجم، وما أُلّف في لغتنا العربية أو نقل اليها من العلوم والفنون والصناعات — ما طبع منها وما لم يطبع — تأخذه الدهشة والحيرة لكثرتها وإحاطتها، وسعة علم هذه الأمة وعنايتها بكل شيء.

وبين يديّ الآن كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » للحافظ ابن رجب الشهير، وقد عُني بنشره الأستاذان المحققان المستشرق هنري لاووست والدكتور سامي الدهان. مهدا بمقدمة وصفا فيها إمام السنة أحمد بن محمد بن حنبل وأهل مذهبه وصفاً مجملاً قالا فيه: وملأوا الشام والعراق جدالاً ونضالاً، وعلماً وأدباً، وفقهاً وسنة، وقد وصل الينا من ذلك كله جوامع شيدوها، ومساجد أقاموها وكتب ألفوها، فيها الشعر والنثر، والنحو والفقه، والسنة والحديث، والتاريخ والتراجم، وقد ذكر بعضها في ثنايا هذا الكتاب » المقدمة ص ١٢.

وبعد أن ذكرا ما أُلف في طبقات الحنابلة من كتب، عقدا الفصل الأول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ترجمة المؤلف ذاكرين فيها أسرته في بغداد ، وهجرته مع أبيه شهاب الدين احمد بن رجب الى دمشق ، ونقلا عن تاريخ الحافظ ابن حجر إنباء الغُمر (بالهمز بعد الألف كما هو المعروف) — أن ابن رجب ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وعن العُلَيمي أنه قدم مع والده من بغداد الى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ قالا : وبذلك يتضح تاريخ ولادته ، ويصبح سن الطفل حين قدم دمشق ثماني عشرة سنة (كذا ! والصواب أن سنه إذ ذاك ، ثمان سنوات ، وبذلك يتحقق كونه طفلاً) . وذكرا في ترجمته سماعه ورحلاته ، وزهده وورعه ، وشهرته ومكانته ، وتاريخ وفاته . وعَدّا في الفصل الثاني رسائله ومؤلفاته فبلغت ثلاثة وثلاثين ، وأشارا الى بعض ما طبع منها . ووصفا في الفصل الثالث من المقدمة هذا الذيل على طبقات ابن أبي يعلى فبدأا بوصف الطبقات المخطوطة ، ونوّها بطبع مختصرها لشمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧هـ وهو من أصحاب شمس الدين ابن قيّم الجوزية . صححه وعلّق عليه الأستاذ احمد عبيد ، وطبعه سنة ١٣٥٠ كما في المقدمة ص ٢٥ (وفي ص ٣٤ منها أنه طبع سنة ١٣٦٠ والصحيح الأول) . وبعد وصف «الذيل» بنسخه الثلاث الظاهريتين والاستانبولية عَرَضا صفحات منها أخذت بالتصوير الشمسي ، وختمت بها المقدمة التي بلغت ما يقرب من أربعين صفحة .

ثم بدت فاتحة هذا الجزء الأول من « الذيل » وابتدأت تراجمه بأصحاب القاضي أبي يعلى ، وأولها علي بن طالب بن زبيبا المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وآخرها المبارك بن عبد الله البغدادي ، ولم تذكر سنة وفاته ، وقد جعل ترتيبه على الوفيات ، وبلغت التراجم سبعاً وتسعين ترجمة منها ما كتب بصفحات ، ومنها ما رسم بأسطر . وقد ازدانت هذه الطبعة الجميلة بذكر أرقام التراجم ، وأسماء المترجمين في أعلى الصحائف ، مع أعوام وفياتهم ، والإكثار من إنشاء الفصول والأبواب تسهيلاً على المراجعين ، والدلالة على مواضع الآيات الكريمة من سورها ، ومواطن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأحاديث الشريفة من كتبها ؛ وامتازت بوضع الفهارس الكثيرة للأعلام والبلدان ، والكتب الواردة في هذا الجزء ، وللمراجع ببيان طبعها وسنتها . وبلغت صفحات هذا الجزء (٣٤٨) صفحة ، ومع الفهارس ثلاثمائة صفحة .

وقد بذل الناشران جهداً كبيراً في الترتيب والتبويب ، وتحريها الصواب في التصحيح والترجيح ، وفي إرشادهما الى تراجم الذيل من صفحات المراجع وأجزائها ، مثاله ما جاء في (ص ١٢٣) جعفر السراج المتوفى (سنة ٥٠٠) . كتب في الحاشية ما نصه : « ترجمته في ع ٢١٤ ـ المنتظم ٩/١٥١ ـ شذرات ٣/٤١١ ـ معجم الأدباء لياقوت ٧/١٥٣ ـ ابن خلكان ١/١٣٩ ـ البداية والنهاية ١٢/١٦٨ » ويراد من ع المنهج الأحمد للعُلَيمي ، مخطوطة تيمور باشا و « المنتظم » في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي طبعة حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .

من سبر تراجم هؤلاء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب يرى أموراً أربعة تثير عجبه وإعجابه (١) زهد كثير منهم في هذا العَرَض الأدنى ، ورغبتهم في الباقيات الصالحات ، (٢) تبحر بعض أئمتهم في العلم تبحراً يقلُّ نظيره في العلماء (٣) سلامة عقيدتهم من ضلالة التجسيم والتشبيه التي يرميهم بها الخصوم (٤) صدعهم بالحق ونصحهم للملوك فمن دونهم ، وهذه أمثلة لما ذكرت :

(١) الشريف ابو جعفر بن ابي موسى الحنبلي (٤٧٠ هـ) وهو ابن عم الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، (٤٦٧ هـ) وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة (كما يقول ابن كثير في تاريخه ج ١٢/١١٠) غسّله الشريف عن وصية الخليفة بذلك فقد قال : يغسلني عبد الخالق ، وعرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال فلم يقبل منه شيئاً . وكان ابو جعفر أول من بايع حفيده المقتدي بأمر الله ، (وهو الذي أخرج المفسدات من الخواطئ من بغداد ، وخرب الخمارات ودور الزواني والمغاني) ولم يأخذ منه شيئاً . وكان ابو جعفر إماماً في العلم ، قائماً في إنكار المنكرات بيده ولسانه ، فلما حضرته الوفاة ، قال : « مالي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ـ يشهد الله ـ سوى الحبل والدلو ، وشيء يخفى علي لا قدر له »(١/٣٩ من الذيل) .

٢ ـ عبد الله الأنصاري الهروي شيخ الإسلام ابو اسماعيل [1] ، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : هو إمام في الحديث والتصوف والتفسير ، وقال في الذيل : « وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ آية في التفسير وحفظ الحديث ومعرفته ، ومعرفة اللغة والأدب . وفسر قوله تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى » (الآية ١٠١ من سورة الأنبياء) فبنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً ، وقال ابن طاهر الحافظ : سمعت الأنصاري يقول : إذا ذكرت التفسير فانما أذكره من مائة وسبعة تفاسير . قال : وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلام ، فقال : أنا احفظ اثني عشر الف حديث أسردها سرداً ، قال : ما ذكر في مجلسه حديثاً إلا باسناده ، وكان يشير الى صحته وسقمه . وقال الزهاوي : سمعت ابا بشر محمد بن محمد بن هبة الله الهمذاني بهمذان يقول : سمعت بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الاسلام الأنصاري عن تفسير آية ، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية ، في كل بيت منها لغة تلك الآية » (ص ٧٤ من الذيل) .

وفي ص ١٨٨ في ترجمة ابي الوفاء بن عقيل (٥١٣ هـ) :

« ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلم ، وأكبر تصانيفه كتاب الفنون ، وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصلين ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات ؛ وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ، ونتائج فكره قيدها فيه .... وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة » .

---

(١) عدّ في كشف الظنون (٢/٥٢٢) جماعة ممن شرح كتابه (منازل السائرين) ومنهم المحقق ابن القيم بكتاب سماه « مدارج السالكين » طبع بمصر في ثلاثة أجزاء كبار (سنة ١٣٣١ — ١٣٣٣ هـ) . (محمد بهجة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٣) قال الحافظ ابن رجب : وقرأت بخط الحافظ أبي محمد البرزالي ، قال : قرأت بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي ، قال : كتب بعضهم الى ابي الوفاء بن عقيل ، يقول له : صف لي أصحاب الإمام احمد على ما عرفت من الإنصاف ، فكتب اليه يقول : «هم قوم خُشُنٌ - الى قوله : ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً ، إنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار ، من غير تأويل ولا إنكار ، والله يعلم أني لا أعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق ، والسلام» ص ١٨٤ منه .

وفي مختصر الطبقات المطبوع (ص ٤١٠) قصيدة في العقيدة لأبي الخطاب الكَلْوَذاني ، مطلعها :

دَع عنك تذكار الخليط المُنْجِد ... والسوق نحو الآنسات الخُرَّدِ
والنوحَ في أطلال سُعْدى إنما ... تذكار سعدى شغل مَن لم يُسْعَدِ

الى أن قال :

قالوا بما عرف المكلَّف ربَّه ؟ ... فأجبت بالنظر الصحيح المرشدِ

ومنها :

قالوا فهل لله عندك مُشْبِه ... قلت المُشَبِّه في الجحيم المُوصَدِ

ومنها :

قالوا فما معنى استواه أبن لنا ... فأجبتهم هذا سؤال المعتدي
قالوا فأنت تراه جسماً قل لنا ... قلت المجسِّم عندنا كالمُلْحِدِ
قالوا فصفه بأنه متكلم ... قلت السكوتُ نقيصة بالسيِّدِ

* * *

قالوا فكيف نزوله فأجبتهم ... لم ينقل التكييف لي في مُسْنَدِ

(٤) في ترجمة أبي سعد البقال (٥٠٦ هـ) :

وكان أبو سعد يعظ بحضرة الخليفة المستظهر والملوك ... ووعظ نظام الملك الوزير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مرة بجامع المهدي فقال : الحمد لله ولي الإنعام .... « ممّن هو على الخليقة أمير ، فهو في الحقيقة أجير ، قد باع زمنه ، وأخذ ثمنه ، فلم يبق له من نهاره ، مايتصرف فيه على اختياره ، .. وأنت يا صدر الإسلام ، وان كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ... فاعمُر قبرك ، كما عمرت قصرك » . . . .

فلما سمع نظام الملك هذه الموعظة بكى بكاءً شديداً ، وأمر له بمائة دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : أنا في ضيافة أمير المؤمنين ، وممّن كان في ضيافة أمير المؤمنين يقبح عليه أن يأخذ عطاء غيره ، فقال له : فضها على الفقراء ، فقال : الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي ، ولم يأخذ شيئاً » .

ومن لطيف الموافقات أني قرأت في ترجمة ابي محمد الإبراهيمي من الذيل (ص ٥٧) ما نصه :

وقال خميس الجوزي : « رأيته ببغداد ملتحقاً بأصحابنا ، ومتخصصاً بالحنابلة ، يخرج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات ، ويرويها لهم » قلت ما أشبه الأستاذ المستشرق هنري لاووست بالإبراهيمي فهو يحيي كتبهم بالطبع وينشرها في الشرق والغرب ، وينقل منها الى الفرنسية ويؤلف فيها ما يرى فيه المصلحة والفائدة ؛ وقد دخل معه في هذا الغار ، وجرى في هذا المضمار ، زميله الدكتور سامي الدهان .

وبعد فإن أمانة العلم تقتضينا أن نقول: لقد سبقنا الأستاذان المدققان صلاح الدين المنجد وعبد الفتاح أبو غدة فنبها الأستاذين الناشرين الى ما رأياه صواباً ، أما الأول فقد كتب فصلاً نقد فيه ما رآه منتقداً من كتاب « الذيل » ونشره في مجلة الثقافة المصرية ، وأما الثاني فقد نشر تصحيحه في مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان « نظرة عابرة في ذيل طبقات الحنابلة » .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أشباح ورموز

تأليف الأستاذ مارون عبود

نشرته دار العلم الملايين ، بيروت (١٩٤٨) مئة صفحة من القطع الصغير

يشتمل هذا الكتاب على مقالات « نضالية » كتبت ونشرت كما يقول المؤلف يوم كان الانتداب يسوق الرجال بعصاه ، منها مقالة الناطور ، ودقات حزن ، وعيد الشجرة ، وحامي النجوم ، وأجراس بيت لحم ، وعيد قيامة الأرض ، والجرماني ابن الله ، ومصرع نمر ، ومؤتمر ابناء العم . وهي كلها تدل على عاطفة قوية ، وخيال واسع ، وتفكير دقيق . آلم المؤلف ما شاهده في مجتمعه اللبناني من الفتن فثار على الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، وكتب ما كتب بأسلوب رمزي ندائي يذكرك بنيتشه وأندره جيد تارة ، وبنشيد الانشاد ، ومزامير داود تارة أخرى .

فما قاله : « إنا الى مسيح جديد يبارك الكسرات الباقية في معاجننا لأحوج منا الى بطرك يبارك أغصان الأرز » (ص ١٤) .

« ان أفلامنا تفتش عن الانسان الأحسن ، والعلم يهدم ما نبني .

لقد تداعت مملكة الروح .

أيها اللهيب ، الذي دانته القشّة ، حنانيك ، فبرد اليأس في القلوب .

أيها الشفق الأرجواني ، نجّنا من ريح الشمال ... إنها قاسية .

« لقد ضخم رئاتنا دخان المعامل ، وأضعف القلوب أزيز الطائرات » (ص ٤٧) .

« إن بيضة العيد استحالت قنبلة مدمرة ، فماذا تفعل يا سيّد ؟

كيف نحتفل بفصحك وأنت الضحية ؟ ان لم تكن أنت فتعاليمك ...

أيها الحمل الوديع ، قل للرعاة يرأفوا بالقطيع ! » (ص ٤٩) .

وهكذا تتعاقب النداآت بأسلوب رمزي مفعم بالتشابيه والاستعارات ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالبركان مصدور ، والدموع سوداء ، والشاعر محموم ، والعباقرة حمر ، والزلزال أعمى ، والعاصفة راقصة . فكأن هذه الأشباح الأرجوانية اللون ترمز كلها الى حقيقة واحدة هي روح الانسانية الحق ، الثائرة على الواقع الطامحة في السلام العام . انك تجد هذه الروح ظاهرة في بكائه على مجد بلاده ، ودفاعه عن استقلالها ، وثورته على التعصب الطائفي ، ودعوته الى التحرر من الخرافات الدينية كما تلمحها أيضاً من وراء رموزه عند كلامه عن الدين المتحجر ، والعبادة الخالية من الايمان ، والبيضة المذرة ، والشمس المريضة ، والانسان الذي لا يموت ، فوراء كل رمز من هذه الرموز الحسية معنى اجتماعي ، أو خلقي ، أو سياسي ، لا يصرح به الكاتب لأمر في نفسه ، ولكنه على كل حال رمز ناطق بؤثر في القارئ ، ويبعثه على التأمل . وكثيراً ما كان التلميح بالشيء أدل على القصد من التصريح به .

مذكرات البارودي

الجزء الأول طبع بمطابع دار الحياة — بيروت ١٩٥١

عدد صفحاته ١٢١ من القطع الصغير

هذه صور صادقة للحياة الاجتماعية في المصر الذي نشأ فيه الأستاذ فخري البارودي أهداها إلى شباب العرب «ليطلعوا فيها على صفحات من تاريخ بلادهم الحديث لعلهم يجدون فيها عبرة وذكرى» . وقد استمد الكاتب هذه الصور من ذاكرته وما دوّنه من الوقائع فجاءت مشتملة على طرف نادرة ، ونوادر مستملحة ، وقصص ممتعة ، على عادته في معظم كتاباته وأحاديثه .

قال الأستاذ في مقدمة هذه المذكرات : «ليس المهم في كتابة المذكرات سرد الحوادث التي تمرّ بالانسان ، بل بيان أثرها في حياته . والواقع ان المذكرات التي تعنى بالتوجيه الخفي هي التي تنال شأناً . فسرد حوادث البطولة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو توجيه خفي نحو البطولة ، وذكر آلام الوطن وبيان ما مرّ به من محن هو توجيه غير مباشر لتقديس الوطن والدفاع عنه .

« وأهم ما في المذكرات هو وصف حياة الكاتب وروحه وبيئته ، ليجد فيها القارئ صورة واضحة للكاتب وللمجتمع ، فيحسّ وهو يقرؤها أن الكاتب حي الى جانبه ، يحدثه ويقصّ عليه أخباره فيكون شاهد عيان خالد ، يساعد المؤرخ على ايضاح الحقائق .

« ويجب أيضاً الاّ تفقد المذكرات روح الحكاية ، وأن يحس القارئ انه يقرأ فيها قصة حياة ، وحياة وطن في فترة معينة ، لا أن يشعر أنه أمام كتاب معلومات جاف ، فالمعلومات تفقد رونقها اذا لم تكن مطبوعة بطابع الكاتب ، ممزوجة بعاطفته ، وخفقات قلبه » .

وهذا كله صحيح ، لأن قيمة المذكرات لا تقاس بخطورة الحوادث التي تسردها ، وانما تقاس بدلالة هذه الحوادث على روح العصر الذي كتبت فيه .

ولعل أهم ما في هذه المذكرات وصف الحياة في البيت والكتّاب والمدرسة ، ووصف ألعاب الطفولة ، والاشارة الى ولع الناس بالرتب والألقاب ، والكلام على يقظة الروح العربية ، وأثر الانقلاب العثماني ، والردة عليه ، ووصف ليالي الأنس في دمشق ، وحياة مقاهيها ، ومجتمعاتها الخاصة ، وتضامن أهلها ، كل ذلك بأسلوب ممتع ، وصراحة لطيفة تذكرك بصراحة (جان جاك روسو) في اعترافاته .

انك اذا طالعت هذه المذكرات خيّل اليك ان صاحبها ماثل أمام عينيك يحدثك عن مغامراته البريئة ، ويقص عليك أخباره ، فتصغي اليه وأنت تقول في نفسك : ان الحياة للهاة جميلة ، وان أروع القصص أصدقها .

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

Sélim Abdul-Hak- Catalogue illustré du département des antiquités greco-romaines au Musée de Damas 19-51.

وضع الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام في سورية هـذا الجزء المصور لما ضمه فرع الآثار اليونانية الرومانية في متحف دمشق باللغة الافرنسية، ويقع هذا الكتاب في (١٨٠) صفحة من القطع الكبير يتخللها (٦٠) لوحاً مصوراً، وهو من مطبوعات مديرية الآثار العامة، طبع في دمشق سنة ١٩٥١.

يمتاز الكتاب بدقة الوصف وصحة النقل وقد جمع فيه المؤلف أصدق البيانات وأوفى الشروح عن الآثار المعروضة في قاعات متحف دمشق تنفع الزائر والباحث وحبذا لو كان هذا الكتاب أصغر حجماً ليسهل على زائر المتحف حمله واستعماله.

وقفت أثناء مطالعة هذا الكتاب القيم على بعض أخطاء رأيت التنبيه اليها لتصحيحها في طبعة ثانية أهمها:

صفحة					
١٠	الكتابة	(٥)	Adiabos	صوابه	Adadiabos
١٣	〃	(١٩)	Diphilinus	〃	Diphilianus
٣٠	〃	(٣)	Benyân	〃	Kanoun
٣١	〃	(٧)	Yr 'y	〃	YD'Y
٣٢	〃	(٨)	سقطت نهاية النص التدمري كما يفهم في الترجمة الافرنسية.		
〃	〃	(٩)	'Lt' D	صوابه	'Lt' D n h
〃	〃	(٩)	Nazurabad	〃	Nebuzabad
〃	〃	(١٠)	Hyh	〃	'Hwhy
٣٣	〃	(١١)	'Ozà	〃	'Ogâ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صفحة				
٣٤	الكتابة (١٤)	'L h d l	≠	'L h b l
٣٥	≠ (١٦)	D k y b	≠	D k y r
٣٥	≠ (١٦)	.... le prêtre du dieu Arsù miséricordieux pour sa sécurité et la sécurité de ses frères. au mois de l'année		
		صوابه :		
		.... le prêtre d'Azizu dieu bon et miséricordieux pour son salut et le salut de ses fréres. au mois d'Octobre l'an		
٣٩	≠ (٢٨)	les Zabdibôl	صوابه	et Zabdibôl
٤٠	≠ (٣٢)	Wariòn	≠	Warton
≠	≠ (٣٢)	M S B Y'	≠	N S B Y'
٤١	≠ (٣٤)			
		LYQR MLK' WŠKR' ..... BYRH ŠNT...		
		صوابه :		
		LYQR MLK'°TB' WŠKR' ... . BYRH ŠBT ŠNT		
٤٢	≠ (٣٨)	a fait Abgal	صوابه	Abd 'Abgal وهو اسم علم مثل اسم Abdibêl المذكور في ص : ٤٦ رقم (٥٠)
٤٦	≠ (٥٠)	Abdibêl au misericordieux au bon		
		Abdibêl à Rahmana le bon .	صوابه	
٦٩	رقم (١٢)	fils de Stéphane Elpias		
		fils de Stéphane et Elpias	صوابه	

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صفحة				
١١٥	رقم (٣٩)	Hosn Sahba	صوابه	Hoche Sahya
١٢٦	» (١٠٧ و ١٠٨)	Guslanieh	»	Chozlaniyeh
١٢٧	» (١١٦ د)	Dier el'Aajr	»	Dier el-Hajar
١٤٧	» (١٧)	Tassil	»	Tsil

نشكر صديقنا المؤلف على جهده وتحقيقه وحرصه على تعريف نفائس متحفنا ونأمل أن نرى قريباً تعريب هذا الكتاب لينتفع به جميع أبناء العروبة .

مجلة الحوليات الأثرية السورية

تصدرها مديرية الآثار العامة في سورية في جزئين

وهي مجلة علمية أثرية تاريخية غايتها دراسة آثار تاريخ سورية ونشر أخبار المكتشفات الأثرية السورية والأعمال الفنية التي تقوم بها مديرية الآثار العامة ومساهمة العلماء السوريين بالنشاط العلمي العالمي وتعميم الثقافة الأثرية في هذه الديار ، وتشرف على تحريرها واصدارها لجنة مؤلفة من السادة : الدكتور سليم عادل عبد الحق مدير الآثار العام والدكتور جورج حداد والأستاذان مطيع المرابط وفيصل الصيرفي . تنشر أبحاثها باللغة العربية وغيرها من أمهات اللغات الأجنبية ، وقد صدر منها الجزء الأول من المجلد الأول فوجدناه حافلاً بالأبحاث العلمية المختارة وأهم أخبار الحفريات الأثرية في سوريا ونشاط المتاحف السورية ، وقد ساهم في تحرير موضوعاتها القيمة نخبة من الأساتذة السوريين وثقات الآثاريين الفرنسيين .

وكانت سورية بأشد الحاجة الى مثل هذه المجلة التي سدت فراغاً في خزانة الدراسات الأثرية والتاريخية في الأرض العربية .

ونتمنى لهذه المجلة التقدم وطول البقاء ونشكر الدكتور سليم عادل عبد الحق الذي عمل على تحقيق هذه الفكرة ونعرب عن تقديرنا لجميع من آزروه في هذه المهمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلدانية فلسطين العربية

جمع نصوصها الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي

يقع الكتاب في نحو (٣٠٣) صفحات من قطع الوسط ، طبع في بيروت سنة ١٩٤٨

جمع في هذا الكتاب الأستاذ الأب مرمرجي معظم النصوص العربية الواردة في وصف فلسطين وبلدانها في أهم المصادر العربية ، أقدمها لابن خرداذبه وأحدثها لعبد الغني النابلسي . وقد سهل بهذا المعجم على الباحث مشقة التنقيب عن مطلبه وقرب له مناله وهي خدمة جليلة يسديها الأب مرمرجي لجمهرة المشتغلين في دراسة جغرافية فلسطين وتاريخها .

لم يقتصر هذا المعجم على فلسطين بل تعداها أحياناً حتى بلغ العلا والحجر وعمان من مشارف الحجاز وتناول الزيتونة شمالي تدمر ، كما انه لم يشتمل على جميع المواقع الفلسطينية التي أغفلت ذكرها المصادر التي نقل عنها أو تجددت بعدها ، وهذا لو تدارك حضرة الأب هذا النقص ونظم بياناً بها إتماماً للفائدة التي توخاها من هذا الكتاب .

وقد دونت أثناء مطالعتي هذا الكتاب القيم الملاحظات الآتية :

صفحة	الخطأ	الصواب
٣	بيت رأس	بيت اراس
٦	فَحل	فِحْل
٠	وطيق	وفيق
١٨	على رأسه كالغمامة	على رأسه كالعمامة
٣٥	٥١٣	٥٨٣
٣٩	تنكيز	تنكز
٧٠	الارمني	الادمي
١٠٧	للمعزلة	للمعتزلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صفحة	الخطأ	الصواب
١٠٧	واقل	وقل
١١١	البزازير	البزازين
١١٣	ابورياح	ابورباح
١١٨	اقليم سفير	اقليم سنير
١١٩	بلنياس	بانياس
١٢٠	عن	من
١٢٤	مربين	مرمين
١٢٥	شفرعم	شفا عمرو
١٣٠	باريون	بارنون
١٤٠	اقليم حريز	اقليم جزين
١٤٥	وقصد	وقصر
١٩٩	مكة	عكة
٢١٢	بيت الرأس	بيت اراس
٢٢٣	مولم	قولم
٢٤٣	دكان	دكة
٢٤٤	وفيه الصخرة	وقبة الصخرة
٢٤٥	باب الثوبة التي ثاب	باب التوبة التي تاب
٢٥٩	مفروش	مفروس
٢٦٠	بالبص	بالفص

ويجدر بكل عربي مطالعة هذا الكتاب لينتفع به ونشكر لحضرة العلامة الباحث جهوده وعنايته بنشر هذا الأثر بعد نكبة العرب بهذا الجزء العزيز .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تشريع العمل

للدكتور احمد السمان ، والدكتور جورج عشي

كتاب تشريع العمل ، لهذين العلمين ، هو كتاب حديث لعلم جديد ، أصبح قائماً بنفسه ، بعد أن كانت الآراء فيه غير مستقرة ، والمقررات التي صدرت بشأنه مبعثرة ، وهذا العلم يتبع التطور الاجتماعي والاقتصادي ، ويسير قدماً مع الزمن ، وقد غدا اليوم من الضروريات في العالم لأنه يقرب بين العامل ورب العمل ، وبين هذين والحكومات ، لأن جل الشعوب هم عمال وأرباب عمل ، لذلك لا بد من وجود التفاهم بينهم بعد الآن ، لحفظ مصالح الفريقين ، وضمان العمل المجدي لمناعة المجتمع .

واذ أصبحت سورية من البلاد العاملة في الصناعة ، كما انها عاملة في الزراعة ، فلا بد لها من قانون للعمل ، وهذا ما جعله يظهر في ١١ حزيران سنة ١٩٤٦ ، وبذلك تدخلت الحكومة السورية بأمر الصناعة ، وحماية العامل من شدة أرباب العمل ، وضمان حياته ومستقبله .

لقد بسط هذان العلمان تشريع العمل ، فأوضحا فيه كثيراً من الأمور المفيدة ، التي ظهرت في العالم الراقي ، وشرحا فيه فلسفة تشريع العمل شرحاً جميلاً ، وقارنا بين القوانين الغربية ، وقانون العمل السوري ، وبذلك فقد أفادا تلاميذهما ، كما أفادا من طالعه من أرباب العمل والعمال ، لأنه يقرب الشقة بينهم ، وينبه الحكومة الى مراقبة هؤلاء ، ليصبح العمل منسجماً ولا يعود هناك رب عمل يستبد بعماله ، وعامل لا يقوم بما فرض عليه من الواجبات .

وقد شرحا التسريح التعسفي (ص ٢٢٨ — ٢٣٢) الذي اهتم له الغربيون ، ولم يبحث عنه قانون العمل السوري ، على انهما لم يذكرا القانون المدني السوري الجديد الذي بحث عنه في المادتين ٦٦١ و ٦٦٢ ، وأعطى الحق للعامل المسرح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دون أسباب موجبة ، وضرورة التعويض عليه ، وذلك عدا تعويض التسريح ، ولعلها يستدركان ذلك في الطبعة التالية .

كما أنهما بحثا قضية التأمين او الضمان الاجتماعي ، وهذه قضية عالمية ذات شأن ، ظهر أول أثر لها في ألمانيا سنة ١٥٣٠ وفرنسا سنة ١٥٣٦ وانكلترا سنة ١٦٠١ وخصها مشروع بيفردج ، الذي وضعه سنة ١٩٤٢ وأسبابه الموجبة ، ولكنهما لم يأتيا على ذكر التشريع الجديد الذي ظهر في انكلترا ، ونفذ في ١٩٤٩/٧/٥ وكانت فوائده جمة ، على المجتمع الانكليزي ، لقد كان من الضروري ان يستعرضا الضمان العربي في أوائل الاسلام ، وقد فرض العرب العطاء لكل انسان ، وأعاشوا الفقراء والأيتام ، والشيوخ ، وكفيفي البصر ، وعالجوا المرضى ، وأطعموا عابري السبيل وآووهم ، وفرضوا لكل مولود جعلاً سنوياً يتقاضاه والداه ، ثمناً للبن أمه ، وزوجوا العزاب والعانسات من بني هاشم ، وكل ذلك من بيت المال ، كما أنهم عفوا أصحاب الملكية الزراعية والحيوانية الصغار وصغار التجار من الضريبة (الزكاة) ولا أشك انهما سيبحثان عن كل ذلك أيضاً في الطبعة التالية .

وفي الحق ان لهذا الكتاب فوائد جزيلة ، وقد وفق العلمان به توفيقاً يشكران عليه . كما انهما قد نبها الى بعض المسائل التي لم يرد ذكرها في قانون العمل السوري ، وبذلك فتحا باباً لإعادة النظر في بعض مواده .

صفير الشريف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آراء وأنباء

المهرجان الألفي لذكرى مولد ابن سينا

أقامته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في مدينة بغداد
بين ٢٠ و ٢٨ آذار سنة ١٩٥٢

لقد كان هذا المهرجان ظاهرة من ظواهر التعاون الفكري بين الشرق والغرب ، ووسيلة من وسائل التعريف بأمجادنا القديمة ، اشتركت فيه سورية ، ومصر ، والعراق ، ولبنان ، وشرقي الأردن ، وليبية ، وأندونيسية ، وايران ، وتركية ، ومنظمة اليونسكو ، واسبانيا ، وألمانيا ، واميركا ، وفرنسا ، وانكلترا ، وضم ثمانين عضواً ، من فيلسوف يبحث في فلسفة الشيخ الرئيس ، الى طبيب يتتبع آثاره الطبية ، ومن مؤرخ يحقق في مولده ونشأته ، الى أديب يحلل شعره وأسلوبه ، توافدوا جميعاً الى مدينة السلام للاشتراك في احياء ذكرى هذا الفيلسوف العظيم ، فأقاموا في اليوم الأول حفلة افتتاح حضرها سمو الوصي على عرش العراق ، وتكلم فيها وزير المعارف ، ورئيس لجنة ابن سينا العراقية ، ومدير الادارة الثقافية ، وممثل المدير العام لليونسكو ، ومندوب عن الوفود العربية ، ومندوب عن الوفود الشرقية ، ومندوب عن علماء المشرقيات .

ثم عقد أعضاء المهرجان بعد ذلك ثماني جلسات علنية في قاعة الملك فيصل للبحوث ، والمناقشات ، والمحاضرات ، عولجت فيها موضوعات تاريخية وفلسفية وأدبية وطبية كثيرة .

أما البحوث التاريخية فقد اشتملت على التحقيق في مولد ابن سينا ، ونشأته ، وانتاجه والتعريف بآثاره العربية والفارسية ، وما ترجم منها الى اللغة اللاتينية ، وهل كان اسماعيليا أم من الاثنى عشرية ، كما اشتملت على وصف العصر العباسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي عاش فيه ، وعلى منزلته بين مفكري القرون الوسطى ، ومدى انتشار كتبه ، وتأثيرها في الشرق والغرب .

وأما البحوث الفلسفية فقد اشتملت على نظريات ابن سينا الإلهية والنفسية ، كرأيه في الإله والعالم ، ورأيه في الشعور ، ورأيه في النفس الانسانية ، ونظريته في الخير ، وأثره في التصوف ؛ كما اشتملت على نزعته الانسانية ، وآرائه في التربية ، وعقيدته الدينية ، والجديد في منطقه ، وموقفه من مشكلة الألوهية ، والمقارنة بين آرائه وآراء ابن رشد وعلماء الكلام وباسكال ومونتني .

وأما المباحث الأدبية فقد اشتملت على منزلته في الأدب الفارسي ، وأثره في الآداب السريانية ، وشعره العربي ، ونقد كتاب الشعر لأرسطو وموقف ابن سينا منه .

وأما المباحث الطبية فقد اشتملت على بعض آراء ابن سينا في أمراض العين وأمراض القلب ، وعلى دراسة طبه من كتابه القانون ، وعلى تعليم طبه في اوروبا ، وتحليل بعض أراجيزه الطبية .

وأضاف الباحثون الى ذلك موضوعات أخرى كنظرية ابن سينا في الموسيقى ، ومساهمة لبنان ، ومصر ، وفرنسا ، ومنظمة اليونسكو ، في احياء ذكراه .

وفيما يلي بيان مفصل باسماء المحاضرين وعناوين بحوثهم .

السبت في ٢٢ آذار ١٩٥٢

١ — محمود الخضيري . . . . . سلسلة متصلة من تلاميذ ابن سينا في مائتي سنة .

٢ — الأب قنواتي . . . . . انتاج ابن سينا .

٣ — الدكتور أحمد أمين . . . حي بن يقظان لابن سينا .

٤ — « مصطفى حلمي . . رسالة في اثبات ان الشيخ الرئيس « من الاثنا عشرية » لعلي الجيلاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — الدكتور أحمد آتش .... رسالة الاكسير، حل شي لابن سينا .
٦ — لويس ماسينيون ..... مساهمة فرنسا في احياء ذكرى ابن سينا .
٧ — كارسيا كوميز ..... اسبانيا ودراسة ابن سينا .
٨ — علي أصغر حكمت ..... الآثار الفارسية لابن سينا .
٩ — أحمد حامد الصراف .... ابن سينا في الأدب الفارسي .
١٠ — الدكتور عبد الرحمن بدوي .. فن الشعر عند ابن سينا بين أرسطو وابن رشد وأثره في الأدب العربي .

الأحد في ٢٣ آذار ١٩٥٢

١ — زكريا يوسف ..... الموسيقى عند ابن سينا .
٢ — شارل كوينتز ..... أراجيز ابن سينا الطبية .
٣ — الدكتور مصطفى شريف العاني .. ابن سينا الكحال .
٤ — » فؤاد قندلا .... ابن سينا وأمراض القلب .
٥ — » عزة مريدن .... ابن سينا في قانونه
٦ — » جميل صليبا .... نظرية الخير عند ابن سينا .
٧ — » محمد ثابت الفندي .. الله والعالم .
٨ — » أحمد فؤاد الاهواني .. الشعور .
٩ — كاظم اسماعيل كورقان ... آراء ابن سينا في الجراحة .

الثلاثاء في ٢٥ آذار ١٩٥٢

١ — الدكتور سهيل أنور .... ابن سينا ونظرية النبوة
٢ — » البير نصري نادر .. النفس الانسانية عند ابن سينا .
٣ — الآنسة جواشون ..... الجديد في منطق ابن سينا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ - عباس العزاوي ..... ابن سينا وأثره في التصوف .
٥ — زهدي جار الله ..... النزعة الانسانية في رأي ابن سينا .
٦ — الدكتور محمد يوسف موسى . الإلهيات بين ابن سينا وابن رشد .
٧ — » بديع شريف .. ابن سينا الشاعر .
٨ — » محمد مهدي البصير . شاعرية ابن سينا .
٩ — » محمد البهي .... مشكلة الألوهية بين ابن سينا والمتكلمين .
١٠ — » داود چلبي .... ابن سينا والعصر العباسي .
١١ — » فؤاد افرام البستاني . مساهمة لبنان في احياء ذكرى ابن سينا .

الأربعاء في ٢٦ آذار ١٩٥٢

١ — كمال ابراهيم ..... التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة .
٢ — الدكتور مالكولم ... رأي في الأرجوزة الطبية (باللغة الفرنسية) .
٣ — الآنسة دالفيرني .... ترجمة مؤلفات ابن سينا اللاتينية في العصور الوسطى (باللغة الفرنسية) .
٤ — محمد كاظم الطريحي .. العقيدة عند ابن سينا .
٥ — الدكتور مصطفى عمر .. ابن سينا، تعليم الطب في أوروبا في القرون الوسطى .
٦ — الأب لويس بهنام ... ابن سينا والآداب السريانية .
٧ — فاندنبرج ..... باسكال ومونتني وابن سينا (باللغة الافرنسية) .
٨ — جارديه ..... نظرية النبوة والحقائق الدينية عند ابن سينا (باللغة الفرنسية) .
٩ — الدكتور ابراهيم مدكور . ابن سينا بين مفكري القرون الوسطى .

وقد أقامت لجنة المهرجان العراقية معرضاً لكتب ابن سينا المخطوطة والمطبوعة ، ولما نشر عنه من الدراسات باللغة العربية واللغات الأجنبية ، كما أقامت أيضاً معرضاً للرسم فيه بعض التماثيل والصور الرمزية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان المهرجان سبباً لنشر بعض الكتب والدراسات الجديدة . منها الجزء الأول من منطق الشفاء نشرته وزارة المعارف المصرية بتصدير الدكتور ابراهيم مدكور ، وتحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، والأستاذ محمود الخضيري ، والأب جورج شحاته قنواتي .

ومنها ترجمة كتاب الاشارات والتنبيهات الى اللغة الفرنسية ، نقلته الآنسة (جواشون) بعنوان : Livre des Avertissements et des remarques, Paris, Vrin 1951 .

ومنها ثلاثة كتب نشرها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وهي :
(١) الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا لمحمد يوسف موسى ،
(٢) المقدمات الفلسفية للتصوف السينوي للأستاذ (لويس جارديه) وعنوانه باللغة الفرنسية : La connaissance mystique chez Ibn-Sina et ses présupposés Philosophiques . (٣) نكت في أحوال الشيخ الرئيس ابن سينا ليحيى بن محمد الكاشي ، حققه الدكتور احمد فؤاد الأهواني .

وستنشر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية كتاباً فضياً عن المهرجان يشتمل على جميع البحوث والمحاضرات التي أُلقيت فيه .

هذا بعض ما أدى اليه مهرجان ابن سينا من البحوث والدراسات . واذا كانت الأوساط العلمية المختلفة تحتفل اليوم بإحياء ذكرى هذا الفيلسوف العظيم فما ذلك الا لأن تأثيره قد تجاوز حدود الوطن الذي عاش فيه . فهو عربي لأنه كتب باللغة العربية ، وهو ايراني لأنه ولد من أبوين فارسيين ، ولكنه فوق هذا وذاك فيلسوف عالمي ، اشتهر اسمه بين فلاسفة الشرق والغرب ، لا بل طبيب انساني عاش طبه حتى أواخر القرن الثامن عشر . لقد عظمت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نفسه كما يقول حتى ضاقت به الأمصار ، وغلا ثمنه حتى عدم المشتري . ولو عرف أن أمماً كثيرة ستدعيه بعد مرور الف عام على مولده لما شكا دهره في شعره ، ويكفيه شرفاً أن يملأ الدنيا بعد موته كما ملأها في حياته ، وأن تدعيه أمم كثيرة ، وان يكون اليوم في نظر الناس جميعاً رمز الحكماء ، وأمير الأطباء ، وفيلسوف الخير والكمال .

جميل صليبا

تعليق

اطلعت في الجزء الأخير من مجلة مجمعنا المحترم (المجلد ٢٧ ص ٥٢) على المقال المنشور تحت عنوان (التأليف في الملوك) بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله وقد ذكر فيه مخطوطاً من تصنيف (عمر بن يوسف بن رسول) ملك اليمن ـ المتوفي من سنة ٦٩٤ الى سنة ٦٩٦ هـ ـ في صنع الاسطرلاب ، وفي آخر الصفحة الاولى من المقال إشارة الى أن هذه النسخة كانت من مقتنيات ذلك الملك الجليل وانها الآن محفوظة في مكتبة أحمد تيمور باشا بالقاهرة .

وأعلق على البحث القيّم المتقدم انه يوجد في مكتبتي الخصوصية مخطوط نادر كان أيضاً من جملة الكتب التي اشتملت عليها « الخزانة المظفرية » أعني خزانة عمر بن يوسف بن رسول العالم المؤلف ، والمخطوط هو « لُباب الألباب ، في شرح أبيات الكتاب » تأليف سليمان بن بنين بن خلف النحوي المصري .

وقد جاء في وجه الورقة الأولى من نسختي هذه ، بعد ذكر اسم الكتاب المتقدم وبخط مغاير له عبارة : « وهو النصف الأول نُسِخ من نسخة المصنف ؛ ليوسف بن عمر بن علي بن رسول ، عفا الله عنه » ثم في السطر الذي يليه وبخط ابن رسول نفسه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« الحمد لله ، مؤلف هذا الكتاب ـ رحمه الله ـ شافعي المذهب ، أنصاري النسب ، وهو أحد أصحاب ابن بري ، وله تصانيف في النحو والعروض تدلّ على تمكنه من العلوم وكثرة اطلاعه ، مات ـ رحمه الله ـ سنة أربع عشرة وست مائة من الهجرة النبوية » .

والنسخة تخرج في ١٩٠ ورقة من الورق اليمانيّ الرفيع في القطع الكبير ، وقد جاء في آخرها العبارة الآتية :

« نجزت مقابلة هذا الجزء وهو النصف الأول من لباب الألباب في شرح أبيات الكتاب على حسب الطاقة والاجتهاد ، بامتثال الأوامر العالية المظفرية زادها الله من العلم والعلو والتمكين في أمور الدنيا والدين ، وكتب العبد الفقير الى الله تعالى حسن بن مُسَلَّم النحوي » .

وقد امتلك هذه النسخة بعد ذلك جماعة من جلة العلماء آخرهم عبد القادر ابن عمر البغدادي (في سنة ١٠٧٣ هـ) مؤلف خزانة الأدب .

ومما تقدم يتبين عناية هـذا الملك المصنف الجليل باقتناء الكتب النادرة واهتمامه باستنساخها من أصولها وجمعها في خزانته المظفرية ، والتعليق عليها بالرغم « من شواغل تدبير المملكة والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات » كما قال المغفور له الشيخ طاهر الجزائري .

وهذا ما وجب التنبيه اليه إحياءً لذكر مؤلف عظيم وإفادة للقراء الكرام والسلام .

(تونس) حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حول رد العامي الى الفصيح

شكرت للعلامة شفيق جبري كلمته بتعريف كتابي « رد العامي الى الفصيح » في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٧ ص ٢٨٣) فقد كان فيها على ما عرفناه من فضله ونقده الخالص المنزه عن كل شبهة وحيف ، وقد قرّظ موضوع الكتاب بأنه عمل جليل ثم ذكر ما للذين يعنون برد الألفاظ العامية الى الفصيح من فضل كبير في اللغة ثم قال : « إلاّ أنهم اذا استطاعوا أن يستعينوا في مباحثهم باستشهاد من بعض كلام العرب من القديم كان أشد تأثيراً الخ ... » . وكان من الحق والعدل أن يُتْبِعَ كلامه هذا بقوله : « وكذلك فعل مؤلف الكتاب » لأني لم آلُ جهداً في ذكر ما تيسر لي من الاستشهاد بالشعر العربي القديم وبكثير من الحديث الشريف . وما لم أعثر على شاهد له أسندته الى مرجع صحيح من كتب الأئمة وقد أدّى بي حبي للاستشهاد الى استطراد في ذكر بعض النوادر كما تراه في مادة (رهذ) ص ١٥٠ من حديث خلبدة بنت الزبرقان وفي مادة (رح من خلقتي) ص ١١٢ من حديث زهير السمان وفي مادة (فـرج) ص ٢٩٢ من اعتراضي على صاحب اللسان في تفسيره (وسدّ فروجه) في بيت ابي ذؤيب الى غير ذلك مما يظهر فيه ما بذلت من الجهد في استخراج الشواهد وتمحيصها وتفسير غريبهـا .

أما الحديث على خربط وخربق فإني أردت من خربق معناها الفصيح الذي هو الافساد ، قال صاحب اللسان خربق عمله أفسده وخربق الشيء قطعه مثل خردله . وهذا كافٍ لتصحّ مأخذاً خربط العامية لأنها مثلها زنة ومعنى وان شئت قلت وحروفاً . وأما كون خربق واردة في عامية دمشق لغير معناها اللغوي فلا يقدح في تخريج خربط العاملية عليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الخطرة لم أغفل كونها مأخوذة من معنى الحين وبعد أن ذكرت ما قاله مجاز الأساس . قلت : وهي أي الخطرة أي بمعنييها العامي والمجازي مأخوذة من الخطور في البال وهذا بيان للحقيقة من معناها .

(جبل عاملة) احمد رضا

الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية

تدعو رجال الفكر في العالم العربي
الى مسابقة عامة في التأليف

تطرح الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية على رجال الفكر والثقافة في العالم العربي مسابقتها العامة الجديدة في التأليف وموضوعها :

« المشاكل التي تعوق العالم العربي عن التقدم في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق » وذلك بالشروط الآتية :

١ — أن يقع البحث في نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وان يكون مكتوباً باللغة العربية الفصحى .

٢ — أن يرسل البحث المقدم للمسابقة الى الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة — الدقي) في موعد غايته آخر اكتوبر ١٩٥٢ .

٣ — أن تكون نسخ البحث المرسلة منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح .

٤ — يعطى صاحب البحث الفائز في المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (اربعمائة جنيه مصري) ، على أن تترك له الادارة الثقافية حق طبع بحثه ، في مقابل تسليمها (٢٠٪) من نسخ كل طبعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

صفحة

٣٢١ نظرية الخير عند ابن سينا . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
٣٣٧ الأحدان المصريان القديمان . . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . .
٣٥٣ رأس شمرة أو أغاريت . . . . . للأمير جعفر الحسني . . .
٣٦١ القطن واللغة العربية . . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي . .
٣٦٩ نهضة اللغة العربية . . . . . للأمير مصطفى الشهابي . . .
٣٨٣ قصة جزيرة قرصرة العربية (١) . . . . للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب .
٣٩٤ سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (١) . « طه الهاشمي . . .
٤٠٨ شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) . . . . . « محمد بهجة البيطار . .
٤١٨ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٢) . . . . « نعيم الحمصي . . .
٤٣٤ كتب مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي (١) . . . . . .

التعريف والنقد

٤٤٠ — ٤٤٢ — الأسرة في التشريع الاسلامي — كتاب تاريخ افرنج — ادب الاملاء والاستملاء } للأستاذ عارف النكدي . .
٤٤٤
٤٤٦ تاريخ الحافظ ابن عساكر . . « حمد الجاسر . . .
٤٥١ استدراك . . . . . .
٤٥٢ الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة للأستاذ عبد القادر المغربي .
٤٥٣ كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » « محمد بهجة البيطار . .
٤٥٩ — ٤٦٠ أشباح ورموز — مذكرات البارودي للدكتور جميل صليبا . .
٤٦٢ — ٤٦٤ — دليل الآثار اليونانية الرومانية في متحف دمشق (باللغة الفرنسية) — مجلة الحوليات الأثرية السورية — بلدانية فلسطين العربية . . } للأمير جعفر الحسني . . .
٤٦٥
٤٦٧ تشريع العمل . . . . . للأستاذ منير الشريف . . .

آراء وأنباء

٤٦٩ المهرجان الألفي لذكرى مولد ابن سينا . . للدكتور جميل صليبا . . .
٤٧٤ تعليق . . . . . للأستاذ ح. ح. عبد الوهاب العبادي
٤٧٦ حول رد العامي الى الفصيح . . . . « احمد رضا . . . .
٤٧٧ الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية . . . . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — غوطة دمشق (الطبعة الأولى والثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
١٥ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 .
١٦ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .
١٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — » » » » (الجزء الثاني) » » » »

٢٣ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٢٤ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . ستر ستين

٢٥ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٧ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش

٢٩ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٠ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣١ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٢ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٣ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٤ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عيد اخوان بدمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net